بيانات المخطوطة

الرسالة الكبرى للمولى إسماعيل
اليوسي، الحسن بن مسعود بن محمد ت[1040 - 1104 هـ]
(ms020_M7.html)

مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضا ء

رفع: خلدون الجزائري

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

اللهم لا علم لنا والعجز على الكمال يحملنا سيدنا محمد خير الانام عليه وعلى آله واصحابه افضل الصلاة وازكى السلام

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

مركز المجد والفضل ومبرز المحمود والثناء وينبوع المحاسن والمفاخر ومجموع المكارم
والمآثر السلطان الاعظم الامام الامجد ابا الفداء مولانا اسماعيل ابن مولانا الشريف
الغني بارتفاع قدره عن التعريف سلام على سيدكم ورحمة الله وبركاته هذا واحمد الله الذي
لا اله الا هو واشكره يسر لكم اسباب التوفيق وينيله معالم الخير وكل فضل ... وان
يجلب المجد والعبادة ويلهمه الصواب والرشاد والحكمة والسداد وينشر ثناء جميلا
في كل ناد انه الكريم الجواد هذا وقد وردت على كتب سيدي الكريمة ومن اسمه الجليلة
العظيمة متعلقة [illegible] واعلم [illegible] وبلغ في كل فصل المراد وفوق
المراد ولا يستغرب هذا وابلغ منه من الجناب الهاشمي الابطحي

فوق لهم جرثومة المجد التي اعيت مفاخرها على المفاخر

اهل العظمة والصباحة في العلا اسد العرين وفي العشير [illegible]

4

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ثم إن ببرزنا استرعى منه الجواب، على حصول الكتاب، وكنت تلكأت عن ذلك لأمور

أحدها الهيبة فإن مقام السلطان أجل في النفوس من أن يخاطب بكلام، أو يراجع في

مرام، تستجلي الأسماع في الإيوان من عيب ومن إجمال

ثانيها التعلق من عربية القول والبلاغة الموكلين بالمنطق ويقال من كثر كلامه كثر

سقطه، وما زالت كثرة الكلام مذمومة إذا لم تدع إليه داعية حتى أن عمر بن عبد العزيز

عزل بعض قضاته فقال لم عزلتني فقال بلغني أن كلامك مع الخصمين أكثر من كلام الخصمين

ولأبي العتاهية،

الصمت أجمل بالفتى من منطق في غير حينه

لا خير في حشو الكلام إذا اهتديت إلى عيونه

ثالثها ما أخشى من اعتقاد سيدنا أنا نريد مراجعته أو محاججته أو منازعته ومعاذ

الله لا نريد ذلك ولا نشتغل به في شيء من الأشياء بل نحن في محل التسليم والانقياد فما أحب

أن يقول فينا فليقل وما أحب أن يفعل فينا فليفعل ونحن سامعون مطيعون لأمره ما لم

يكن إثما أو جلاء الحق علي ومع الغرض عمرنا الله تعالى وجزينا سلطاننا خيرا أو دعونا

له به وإن جاء خلاف ذلك صبرنا لحكم الله وعذرنا السلطان وعلمنا أنه لم يلم حتى سبق

القضاء والقدر وأنا في ذلك كما قال أبو نواس

فإن تولني منك الجميل فأهله، وإلا فإني عاذر وشكور

وهذا هو حاصل الجواب ونهاية الخطاب، وإن كثر القول ثم رأيت أن أمر سيدي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أيدك الله بالجواب، من وصول الكتاب، لا ينبغي أن يهمله ولعل فيه إن شاء الله تفصيل
مفصل، وإن أمور العلم عندي واردة، كما قال امرؤ القيس عند وصفه جواده

يجم على الساقين بعد كلاله ، جموم عيون الحسي بعد المخيض

محاولة الجواب من غير إطالة ولا استهاب ولا كره على أن أسير في ذلك سيرة العلماء في الرد
والحوادث على كلام من قبلهم من الأئمة رضي الله عنهم فإنهم يتكلمون بحثا وجمعا على مقتضى
العبارة من غير أن ينسب في ذلك طعن ولا نقص للمتكلم بل هم يعرفون أن ذلك والكلام
إنما هو مع الكلام لا مع المتكلم ولذلك يتكلمون على كلام أشياخهم ولا يعد منهم ذلك
سوء أدب ولا عقوقا ومازال الأئمة كانوا يقولون إمامنا مالك رحمه الله عنه كثيرا
عند ما يتعرض لكلام الصحابة وغيرهم كل كلام منه مقبول ومردود إلا ما كان من كلام
نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم يعني فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى
فما عيب على العالم وغيره أن يبحث في كلامه بحثا علميا فإن شاء الله على هذا النمط
أمشي مع الكلام منسوبا مع ذلك الكتاب وعلى السنة الكتاب واصطلاحه، أيدك الله
بالحق يبقى من مورد يتعرج بين كلامه وكلام الكتاب وينتصب ميزان العدل فإن الكلام
دواء للصحو واعجب أخذكم ورمى بالآخر وأنا في ذلك

على أنني راض بأن أحمل الهوى ، وأخلص منه لا علي ولا ليا

وبالله تعالى التوفيق. **أما قول الكتاب** إنا نريد أن تقبل منا الحق
فأقول إنه أعتقد أنني أقبل الحق من عبد أو أمة أو صبي أو معتوه لا أعرف

أول

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة Fondation

هو هذا فكيف لا أقبل الحق من سلطان المسلمين أعزه الله وأطال بقاءه وقوله لا أقول
لك لا عقل لما تقول ومن هو أولى بهذا من السلطان وقد جعله الله على رقاب عبيده
وأمة نبيه يسعى في صلاح أمورهم بما يقوله ويفعله ويبطله في البلاد والأمير محقق
أن لا يقول إلا حقا ولا يسعى إلا في الحق ولا شك أن السلطان أيده الله عارف بالحق
قادر على قول الحق ولا بد أن يعلم أن الحق بالشرع يعرف لا بالعقل وقد حكم قوم
العقول فضلوا وأضلوا ونعيذ به سيدي من مثل هذا فالحق عند أهل الحق هو ما
جعله الله حقا ويعرف ذلك بالكتاب والسنة والإجماع للأمة وقياس الأئمة
قال تعالى وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وقال تعالى هدى للمتقين وقال تعالى
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وقال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقال
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال تعالى لتبين للناس ما نزل
إليهم وقال تعالى ومن يتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم وقال تعالى
فاعتبروا يا أولي الأبصار إلى غير ذلك من الآي وقال صلى الله عليه وسلم
عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم
ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة والضلالة وصاحبها في النار
وقال صلى الله عليه وسلم إن هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء
النافع عصمة من تمسك به ونجاة من تبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا
تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الترداد الحديث وفي حديث آخر الأمور

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز Fondation

المسلمين عن طلحة من العلم وجيد فقال ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الفتنة وقلنا يا رسول
الله ما المخرج منها وقال كتاب الله عز وجل فيه نبؤا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم
وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله
وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تلتبس به الالسن
ولا تزيغ به الاهواء ولا يخلق على كثرة الترداد ولا تشبع منه العلماء ولا تنقضي
عجائبه وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته فقالوا انا سمعنا قرءانا عجبا يهدي الى الرشد
من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم **حتما**
ثم ان ذلك كله ماخوذ من اهل العلماء فلابد من حملته والاقتداء عليه وغيرهم يقلدهم
فيه ولا يحل لاحد غيرهم ان يخوض في شيء منه ما لم ياخذ عنهم قال تعالى فسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
وفي الحديث لكل شيء قوام وقوام الدين الفقه ولكل شيء دعامة
ودعامة الدين الفقه وفضل العلم واهله شهير لا نطيل به **وفي** الخبر المشهور علماء
امتي كانبياء بني اسرائيل وذلك انه كان في بني اسرائيل يكون النبي في قومه
يوصي اليه ويكون الملك على يديه ينفذ ما امر به النبي فاذا كان علماء هذا
كانبياء بني اسرائيل لزم ان يكون ملوكها كملوكهم ينفذون ما امر به العلماء
ولهذا كان الامام ابو الاسود الدؤلي يقول ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام
على الناس والعلماء حكام على الملوك **وقيل** ان الحجاج جمع الناس فقال من

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود - الدار البيضاء
Fondation

العلماء ومن الملوك فقال من الزهاد فالعالم الذي ينكر على غيره بالحق والتحقيق وليس
لغيره ان ينكر عليه الا من له علما مثله او فوقه فاذا كان العالم مسلما في علمه
موثوقا بامانته ثبت للناس حق عليه ان يعلمهم من شرائع جنب الاركان واذا كانت
تغلب افعاله وتعترض اهواؤه في الحكم عليه بانه لا علم عنده ولا موثوق به وهلك و
تسقط عنه حقوق الناس فالجمع بين الاعتراف له بالعلم والثقة وثبوت حق الناس
عليه ولا انكار عليه فيما يقول او يفعل جمع بين متناقضين والله الموفق واما قول
الكاتب والله لا اجتمعنا الغرب في مسئلة العلم وضعفنا عليه ان يفوز منه فاقول
جزى الله سيدي ومصباحي وقضى خيرا اصبت ظاهر من اقواله والله من اشراط المطالب
وانصفت فان خيرة الحياة بعد ذهاب العلم واهله وفي الحديث الصحيح ان الله
لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبضه بقبض اهله حتى اذا لم
يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وخطب
يوما زياد على منبر الكوفة فقال اني بت ليلتي مهموما بخلال بين العلم وبين الشرف
وبين السن ولا والله لا اوتى برجل رد على في علم ليضع منه الا عاقبته ولا اوتى برجل
رد على في شرفه ليضع بذلك من شرفه الا عاقبته ولا اوتى برجل رد على في سنه ليضع
بذلك منه الا عاقبته وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لموت الف عابد
قائم بالليل والنهار اهون من موت العالم البصير بحلال الله وحرامه وقال ابو عمر بن عبد
البر في كتاب العلم روى عن ابن عباس انه قال ان الشياطين قالوا لابليس ما لنا نراك

تعاب
تجمعنا
زياد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

تفرح بموت العالم ما لا تفرح بموت العابد فقال انطلقوا بنا فانطلقوا الى عابد فاتوه

يصلي فقالوا له انا نريد ان نسألك فانصرف فقال له ابليس هل يقدر ربك ان يجعل

الدنيا في جوف بيضة فقال لا فقال اترونه كفر في ساعة ثم جاء الى عالم في حلقته

يضاحك اصحابه ويحدثهم فقال انا نريد ان نسألك فقال سل فقال هل يقدر ربك

ان يجعل الدنيا في جوف بيضة قال نعم قال وكيف قال يقول له كن فيكون

فقال ابليس اترون ذلك ما يعدو نفسه لا تعدو نفسه وهذا يفسد على الكثير امة فقد دل هذا

الموضع انه يحزن لموت العلماء كثيرا كما يفرح ابليس به وان يجل معه اذا كما فعل

السلف رحمهم الله والخطب به ونحو الموجود فيه الطلبة ومن لم يحزن لموت العلماء

او فرح بموتهم فهو من جملة الشياطين ولا شك انه لا بد من موتهم غير انه متى كان فيهم

التوالد لم يضر موت من مات لانه يخلفه غيره من انشائه ومتى لم يحصل التوالد

انقطع الكامل التوالد الحقيقي وانما يحصل التوالد بالاقراء والدراسة

وكثرة مجالس العلم فلا يموت العالم حتى يلزم من يخلفه بان ينشأ من التعليم باذن الله

تعالى عالم اخر واكثر وما اكثر اميستم بهذا النوع وحيث تعرضنا لهذا المعنى

واهتم به فلا بد ان نشرحه ونبين وجوهه باختصار فنقول ان طلب

العلم والاشتغال بالتعليم نوع من الجهاد بل هو الجهاد الثاني بل هو ابو

الجهادين وذلك ان جهاد العدو مطلوب للدفع عن بيضة الاسلام والعلم مطلوب

لدفع الجهل عنهم ثم اذا نظرنا ضرر العدو ولو تسلط تسلط على الاموال

والابدان

والرغائب ومن امور دنيوية لابد من ان يفعلها او يتركها او يعجبه والمومن لا يفرغ
ولو تسلط الجهل عليه ولو ابتلاه الله لم تبق عنده نفس صحيحة ولا اعمال ولا عمل صالح
ومن اعظم الطاعات لا بد ان الذي يتسم الى الافرغ فصل ان الجهاد في دفع
الجهل وتحصيل الدين اكثر ومن علامة ذلك ان الجهاد في دفع العدو ثم ان نبينا
صلى الله عليه وسلم حين بعثه الله بدا بالقتال الذي قلنا انه الاهم مكانا بدافع الجهل
بالتعليم باقواله وافعاله وتقاريره ولم يشتغل بجهاد العدو الا بعد ذلك حتى
اذن له ثم ان الله تعالى اباح لهم الغنائم فكانوا يتشوفون بها على الجهاد كله و
كانت ترجع لكل من حضر المعركة حكما شرعيا ولا استغراق فلا نكون الناس
في القتال ثلاثة: تحضر يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ومطلبه الله تعالى
ورحمته الباقية لا تشوف له الى المال ولا الدنيا اصلا وهو خير الناس وتحضر
يقاتل لذلك الطامع التشوف وهو وسط الناس وتحضر يقاتل لطلب الدنيا
اما تشوف الى الاخرة اصلا وهو شر الناس ولاكن ينفع الله به بل الدفع عن غيره
كما قال صلى الله عليه وسلم في مسلمة فزمان ان الله يويد هذا الدين بالرجل الفاجر
وكل الاصناف يقبض المال في جهاده اكثر الاول فهو وان لم يكن هو الباعث له
لاكنه يتقوى به في شغله والكل في ذات الله ولا ينقصه ذلك شيئا عند الله
ولا حرج عليه الكامل لغير نصيبه والجاته النفقة الواجبة على نفسه او على
عياله على ان يذهب ليحترف ويعطل الجهاد رباطه وكان الفائز وان كان دون

ع ح
يتشوفون

ع
وكنز الكشاف

ع
د الي

الاول واما الثالث فمحوط من الله واجل ما يجعل له فاذا اجتمع هذا في
المجاهدين وما يأخذون من الغنائم فليجعلوا مثلهم في المجاهدين في العلم فهو
بحرمة المشتغلون بالعلم ايضا تعلما وتعليما محتاجون الى مؤونة وكفاية
يتقوون بها على ما هم بصدده • الا ترى انه يكون في هذا ايضا كفاية كما كانوا
في ذلك وكما لا تنقص عن غلوهم في ذلك بل نعطيهم المال جميعا ونعطيهم علاوة
كذلك هنا وكما ان الانتفاع في ذلك يحصل للجميع من الخلق ومن لم يعلم كذلك وكما
في الثاني وكما انه ينبغي ان يجعل في ذلك اهل الجهاد على حسب مراتبهم في الغنا
كذلك ينبغي ان يجعل بحسب مرتبة المعلم في العلم واحكام صنعة التدريس
ومرتبة المتعلم في الحرص والنشاط والملازمة وكما انه لولا الغنائم في ذلك
تأخر والاعطاء ات اخرى تعطلت مراسم الجهاد وتعطلت الثغور واما في
الصنف الاخير فكان المال بالعنف حراما فاذا ابطل الباطل ووقع العقود اللهم
الا ان يخلصه بالعشر الاكراه وهو كالحي كثير جدون واما في الصنف الاول فكان
المال وان لم يفض الا انه من الضوائع محوط بالشرط وبطلانه يوجب بطلان
المشروط اللهم الا من كان مكتفيا بحلال من ماله وهو عزيز الوجود فان اهل
الوثوق الناشئين في النعمة لا يتبرعون بهذا المال لطلب العلم ولا يتحملون
مشقة التغرب والترحل والتنزل للمشايخ •

• ان الشباب والفراغ والجدة • مفسدة للمرء اي مفسدة •

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود
Fondation du Roi Abdul-Aziz Al Saoud Casablanca

وكابد في طلب العلم من مقاساة ذلة

ومن لم يذق ذل التعلم ساعة ● تجرع كاس الجهل طول حياته

تذلل لمن تهوى لتكسب عزة ● فكم عزة قد نالها المرء بالذل

صبرت على بعض الاذى خوف كله ● ودافعت عن نفسي بنفسي فعزت

وجرعتها المكروه حتى تدربت ● ولو لم اجرعها الاذى لاشمازت

الا رب عز ساق للنفس ذلة ● ويا رب نفس بالتذلل عزت

وذلك يبنى على اصل الاخذ ابو الطيب وانما يحظى جدا واولاد المساكين وهم المشتغلون في كثير من الاحيان لهوا اولاد الفقراء لطلب العلم وهم محتاجون الى المؤونة والعطاء نافع فيهم وفي غيرهم قال

واحسن من نور تفتحه الصبا ● بياض العطايا في سواد المطالب

والعطايا هي تطلق اللسان وتشرح الجنان وتشجع الجبان وتنشط الكسلان وتسر الغضبان سجية مطبوعة في الانسان على مرور الزمان وقيل لجرير كانت اشعارك في بني امية احسن منها في بني العباس فقال ان اللها تفتح اللها ان اللها العطايا تفتح اللسان وحكى المعتمد ابن عباد يوما قول ابن الاهي

اذا ضربت العيون بنظرة ● اناب بها معنى الطرف وازهد

فجعل يردده استلذاذا له واستحسانا وبين يديه عبد الجليل بن وهبون الشاعر فانبعث منشدا من غير ما انشا يقول ارتجالا

لمن جاد شعرا ابن الحسين فانما ۝ تجيد العطايا واللها تفتح اللها ۝
تنبأ شعرا بالغريض ولو درى ۝ بانك تروي شعره لتألها ۝

وقال بعض مشائخ الوعاظ انا اذا اكلنا بغراد انطلقت السنتنا بالحكمة واذا اكلنا بغيرها لم ننتفع وقالت لا يجوز ان الهمج يجعل ما له جهزا مواطن ملك المسئلة فمن وفقه الله من الملوك ونبهه اليها فقوا او فضلا فانفق الاموال في نشر العلم واقامة المرتبات واحسن الجوائز حيي العلم في زمانه وازهرت رياضه ۝ وتفجرت حياضه ۝ وكثرت الفنون الغريبة ۝ والفهوم العجيبة ۝

ثم ان يعمل بابه مع ذلك ومن مجلسه وعامرا بالمعروف والطف المجلس تسارع الى مجلسه اهل العلم فاثرى مجلسه ونور محله وعظمت ابهته ومن لم يفعل ذلك انزوى العلم في زمنه فخلت ربوعه ومرت نجومه واما الطلبة فلعدم وجود الكفاية ووجود المعلم واما العلماء فكذلك فمنهم من يشتغل باسباب معاشه ومعاش من يعوله ويرى ان ذلك اوجب عليه من التعليم الذي هو فرض كفاية ومنهم من ابى يتفرغ للعلم او يعلمه وفي مثل هذا قال عظيم من الفقهاء لو كلفت شراء بصلة ما فهمت مسئلة وقال عظيم من الصوفية لو علقت دجاجة خفت ان اكون جلوازا على الحبس والجلواز الشرطي او التوزرر وهو التابع له ومنهم من يرى الزلل ادبارا في الزمان

الى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

والمله وبر الفهم لا يستحقون نفعا ممن ضل بيته ويشتغل بالتغيير والتقنية

نفعا لحرمانة بعد • ومثل من اغلال بعض الايمة

ان زمنا الملوك ذنا سواء علينا • واستحقوا احمالنا بحق الجليس

او زمنا التجار عدنا الى البيع • سروح بالربح عن ربح الفلوس

جل زمنا الشيوخ نستعمل الحبس • ونطابه وجوه الكروس

فقنعنا بان زمنا مقصرنا • امراء على الملوك الرؤوس

وفي ذي ليلها اخر فقال •

لو تركنا وذاك كنا كغيرنا • ما انشا معلو نعيس

غير ان الزمان اعني بنيه • حسدونا على حياة النفوس

وهذا ايضا لا استغنا بالتصنيف عن التدريس فقد فعله جماعة من العلماء المعتبرين منهم الجلال السيوطي فقد حكى انه لما كان يدرس بل يضعفها وقد نفعه الله بتصانيفه اليوم • ومنهم تاج الدين السبكي اخو ابا انه حيث شرح مختصر شيخه راى من الطلبة ان تقرا بالشروح من يديه تصحيحا فيه واعتنه وظلموا الا انه لا كتابة ولا كتاب شيخه بتركهم واشتغل بتصنيف الشامل ثم الملوك لهم بني السوا مختلفين فيما ذكرنا حسبما اختلافهم في حب العلم واهله والرغبة فيه وعلو المطالع وفي الجود وكرم الطبيعة والطمأنينة النفس وغير ذلك ولم يزل العلماء يترحمون على من احيا الله العلم على يديه او غيرهم من المطالع ونيل العون في الثناء

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عليه منذ الملوك الامويين والعباسيين ومن بعدهم من ارباب الدول ولاسيما ان كانت
سيرته مع ذلك محمودة كصلاح الدين يوسف بن ايوب رحمه الله وكذا ملوك المغرب
من الادارسة والمرابطين وبني عبد المومن وقد نبغ منهم المهدي بن تومرت جامع في
نشر العلم وبني عبد الحق وقد كان فيهم ابو الحسن المريني ونظراؤه وكانت مدرسة
الواحد ومن اليوم خربة يقال ان فيها سبعمائة او سبعة الالاف استاذ وكان
لا يعطى الشيء فيها الا من كان يحفظ جميع الامهات الحاجب ولذلك لما جاء
الشريف ومن تحفظه ولم يجد فيها مقعدا عند سارية واشتغل بشرح الخروبية حتى
اكمله فبرمجه اليهم ليعطى شيئا ثم انذر بعد ذلك العلم يبان وغير ما حتى
جاء السلطان احمد المنصور فاحيا ما بعد وكثر رباعه وجمع الكتب ووظائف العلماء
وجالسهم واعظمهم وارضاهم وكذا الوليد بعد ذلك ومحمد الشيخ غير انه في بلدهم
فقط ثم جاء المولى محمد بن الشريف اخو سيدي فاحيا له في بلده واعطى العلماء والزمهم
وظائفهم وحرر امل الانبا والاغراء لذي في الغضبة فلما فلم نسم ذلك التحرير مقام
العلماء وتسارعوا حتى ان الرجل الحسن من اهل سجلماسة يكتب الاجرومية
في لوحه يقرؤها ولما كثرت المجالس وكنا فيها حتى انا اكثر الايام لا نذوق طعاما
لا من الاعجاز لاشتغالنا بطلب العلم وتنقلنا في المجالس طول النهار فاستمع
الناس غير ان علوم الطراء فاصح الناس ما قرب من فقهيات ونحويات ولا يرومون
الى فروع العلم ولا يخوضون في لجج العلوم العقلية والنقلية وانما يحيل في ا خ

دلك

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

ذلك بان في ذلك البلاد من كلمة ابي الفضل النحوي رضي الله عنه فانه كان دخل
سجلماسة فاخذ يقرأ اصول الدين واصول الفقه فقام اليه عبد الله بن بسام امام اشياخ
البلد فقال ما يقرأ هذا الانسان فقالوا له الاصول وكان اهل البلد اذ ذاك مقتصرين
على علم الرأي فقال هذا يريد ان يدخل علينا علوما لا نعرفها وامر باخراجه فقام
الشيخ ابو الفضل وقال لابن بسام امت العلم اماتك الله ها هنا واشار الى
مكانه فاتفق ان اعلم ابن بسام بنكاح حضر عقده في المسجد ضحوة يوم
الثاني فخرج الى المسجد سحرا فتبعه جماعة من ملوانة فقتلوه مكانه في هذا
العلم الخاص فمات في ذلك وقد مررت بعد ذلك بسجلماسة فوجدت
لا ولم يبق على حاله في موضع العبور في بيت تلك المجالس الا قليلا ولم يبق الا
اصحاب المجلس على حالهم واصحاب مجلس السلطان منقطعين في المجلس وليس
بذلك ينتشر العلم وتحيى رسومه ويتخلد ذكره وانما يكون ذلك باصحاب المجالس
في المساجد والرباطات وفيها ينتفع الخاص والعام ويبقى ذكره على مر الايام
وفي بعض الخبر لن يبلغ العلم حتى يكون براسم فجاء المولى الرشيد
بن الشريف فاحكم مدارسه واوضح منارة واكرم العلماء اكراما لم يعهد واعطاهم
ما لا يعهد ولا سيما بمدينة فاس فشيد من قبله واتعب من بعده ولولا الله مزية
لجاءت علماء كل بلد كسم فر انتهت النوبة اليوم الى سيدي ومصباح زماننا
وشمس مغربنا فاني شيء ينفعه وبهمته املاه وخزائنه املأه ومحبته افوه

وحيث انه اضحى مولانا ينتمي الى ابناء ملوك المكارم . وتجديد ملوك العلم . واحياء معالم
المراسم . فيما اضحى جامع فاس ومكناسة وسلا وتطوان ومراكش وسجلماسة ودرعة
مجالس العلم . ومدارس البحث والفهم . وتلك الحركات والغيبات لا تمنع شيئا من
مزاياها بيوت المال بالحاضر والمرتجى . واصلوها بابوابها حاضرهم ويوم يبق الا الامام
السلطاني بلا اعطاء . فاذا الدنيا زاهية . واهل العلم متظاهرة . ولعمري دون
ان تسقط الطير الا على نثر الحب .

تسقط الطير حيث يلتقط الحب . وتغشى منازل الكرماء .

ولعمري لو حصل ذلك لبنية طاهرة لكان المرجو من الله تعالى ببركة العلم والديوان يكسب
جميع الحسنات . ويغنيه عن تلك الحركات . ويمهد له البلاد . ويجعل به بركة زمام الحاضر
والعباد . فانه الملك القادر سبحانه وان مات من ذلك شيء ثم يصل اليه جاه الطالع
الى المقصود . بكون المنعة بالموجود . وصير يلقى حط التسيار . وتستغرب الديار
ويجمع نفسه . ويصل انسه . ويخص به العلماء الاعلام . مقبلين من كل افق بالانوار
والاعلام . العود يلهي المتعجب ويمنع مصاحبها .

الا اهل لسان البلد لا تخفى كلمة . سعيد بن سلمى ضوء كل بلاد
يعود اليه كابة الناس مقبلة . وان لم يقربها نائل وعاقب

وانه لو كان ذلك لظهرت العلوم في كل بلد من البلاد المغربية وفي كل موضع يجد الله
من يكفيه من طلبة العلم وانما حضروا العزم الجميل وما نال العلم في صدور الرجال الا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

مثل الجمر يغطى عليه الرماد فاذا نفخ فيه وجدتها او النار في الحجر فاذا نوى اقتداحها خرجت
وليس يزيل اسم العلم عن العالم تخصيصه في الجواب عن مسئلة سئل عنها او اكثر بل و لا
جهله لكثيرها اما فمثال العالم لا امثال التاجر في البز او العطر او الخيل
او غير ذلك فاحمد الله من طلب عنده حاجة موصوفة او اكثر فما توجد عنده ولا يخرجه
ذلك عن سماه التجار وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول اذا ساله
اهل العراق وكانوا اسالكم يا اهل العراق انا لا نعرف ما تسألون عنه ولا يعيب
الرجل فانا لا اخبر من ان يقول في ما لا يعلم بغير علم وسئل امام دار الهجرة مالك
رضي الله عنه عن اربعين مسئلة فاجاب عن اربعة منها وقال في البقية لا ادري وهو
نجم اهل زمانه ان العلم من اثر وجاءه رجل من بعض البلدان يسأله عن شيء
فقال له لا ادري فقال الرجل اني اتيت من بلد بعيد فماذا اقول اذا رجعت الى اهلي فقال
له اذا رجعت اليهم فقل لهم ان مالكا لم يجبني وقال ذلك له مرة اخرى فقام
اليه ابنه وكان من ضعف شيئا من العلم فقال له كيف تقول لا ادري كانه يستحيي
من قولها فقال له رضي الله عنه تعلم الناس ان لا يتبع ابنه ولا يعمل بكتابه
وكان رضي الله عنه يقول من وضع من العلماء جنة العالم لا ادري فمتى
اخطاها اصيبت مقاتله ونظم ذلك الشاعر فقال

ومن كان يهوى ان يرى متصدرا ... ويكره لا ادري اصيبت مقاتله

فاعلم ان صفة العلم بكل معلوم انما هي لله وحده لا شريك له والعباد يعترفون كل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

ما نقص له وقد قال الخضر لموسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ما علمي وعلمك
في علم الله الا كما اخذ هذا العصفور من البحر وقد ذكر بنام العطاء حق على كل امام
من بيت المال وقد نص علماؤنا على انه اكثر يكره ينبغي قال يكره على جماعة المسلمين
ان يجمعوا ما يرتبون به الجند للجهاد وحملة العلم وقد اجاز بما روي الرشيد الامام
مالكا بثلاثة الاف فقال له فاتر يا ابا عبد الله ثلاثة الاف كانه يستكثرها
فقال ان كان مقدار ما لو كان امام عدل فانصف اهل المروءة لاصابه مثله
لزلت اربه باسا واجاز زيادة الله عامل الافريقية الفقهاء فمنهم من قبل
الجائزة ومنهم من رد فما يشغل العامل من اكل من قبل فبلغ ذلك الامين ابن العباس
وكان ممن قبل لا اعلمه انا او غطانا الى بعض حقنا والله حسيبه فيما بينه
عنا وورد اعيان العرب ذات مرة على هشام بن عبد الملك وكانوا اذ
استووا بمجلسهم ومنهم صبي يقال له درواس بن حبيب في راسه ذوابة وعليه
بردة يمانية فانكر هشام حضوره وقال للحاجب ما يشاء احد ان يدخل علينا
الا دخل حتى الصبيان فقال الصبي يا امير المؤمنين ان دخولي لم ينقصك
ولكن شرفني وان هؤلاء قدموا الامر فهابوا دونه وان الكلام نشر والسكوت
طي لا يعرف الا بنشره فاعجب هشام كلامه وقال له انشر لا ام لك فقال يا امير
المؤمنين اصابتنا سنون ثلاث سنة اذابت الشحم وسنة اكلت اللحم
وسنة انتقت العظم وفي ايديكم فضول اموال فان كانت لله ففرقوها

اذ اصابتهم سنة

على عباده لو ان كانت لهم فعلى وتحبونها عنهم وان كانت لكم فتصرفوا بها
عليهم فان الله يحب المتصرفين ولا يضيع اجر المحسنين فقال هشام ما ترك لنا الفتى
في واحدة من الثلاث عذرا وامر بمائة الف تفرق في البادية وامر للفتى وحده
بمائة الف فقال الفتى اردد ما في جائزتي الى العرب فما لي حاجة في خاصة
نفعي دون عامة المسلمين فكان في هذا ابلغ وعن مالك بن دينار ان هذا
الامر فيعطيه لم يكن حرصا على العلم ولا اسف بل تلذذا مسامعه بطيبات الشكر
والحمد وتحلو مشاربه في ديوان المجد ومن الله انه لو انه ثم اراد الخير له ولعقبه
ثم اخذ بهذا الكلام ولا ينتفع على هذا الترام فان من كرم والده في معارج الفلاح
والنجاح ويجاري حتى بلغاء العزم المطلب الا معاب كما بلغ كابر لا يجود دعوات
ولعقبه تجري بها الالسن على اعواد المنابر والله الموفق واما قول الكتاب
ومن قبلهم من الزمان لا تعرف العلماء الا مع الملوك فاقول لا شك انه لم تخل امة
محمد الله من علماء ينفع الله بهم من هذه الطاعة كما اخبر بذلك الصادق المصدوق
صلى الله عليه وسلم حيث قال لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا
يضرهم من خالفهم قال الائمة وهم اهل العلم لان اول الحديث ومعه
قوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه دال على ذلك وقال
صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف
الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين اما صحبة الملوك وملازمة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ابوابهم ومجالستهم وكذا لعلمهم مجالس في العلماء على العموم ولا على اللزوم بل هم
في الغالب تختلف احوالهم في ذلك فمنهم من يسارع الى ابواب الملوك ومنهم الاقل ومنهم
من يتجافى على ذلك ومنهم الاكثر فاما المنقبض فقد يكون انقباضه لشغله في حاله
بينه وبين الله تعالى او لشغل اخر في معاش او علم او لكونه نفور الطبع عن تلك
الابواب او لكونه لا يحظى بها او لكونه لم يجد لها سببا او نحو ذلك واما المطالب
فقد يكون لاجتلاب الرفق له او لطلب التوسع في الدنيا او لطلب الجاه او لمجرد
التمتع في الوقت ماكلا وملبسا ومنظرا او صيتا او ليستمكن من الطعن في خصمه
كاهل الاهواء الذين صاحبوا الملوك ليتمكنوا من امتحان خصومهم اهل السنة
ومنهم من لزم الملوك على من اصحبهم مدة ويتخلف عنهم مدة من قبل زمانه وفيما شاهدنا من
سبق كفاية فقد كان اخوي مولانا محمد بن الشريف من صاحبه من الامراء
ومن اهل مجموعة ومن اولاد الفاضل وقد تخلف عنهم اكثر منهم واعيانهم وادرنبع
الامام العالم شيخ الجماعة ومجيز مثل الوقتي الطاهر مولاي عبد الملك بن علي بن عبد الله
بن علي بن طاهر واخوي مولاي محمد ومولاي علي وسيدي مبارك الفرجي ومولاي عبد الرحمن
ابن يوسف وسيدي محمد بن احمد السوسي وسيدي الرزاتي وسيدي ابو القاسم بن الحسكاني وسيدي
ابو القاسم الرجلي وغيرهم ممن يكثر عدده ويطول اشياخنا رحمة الله عليهم فمن
مولاي من دعي فيه الا عيد ومنهم من يرى مكانه من جمع العلماء والتوقي من الاجتماع
بالجمع وقد تخلف غيرهم من اهل مملكته في كل مدينة وكل قبيلة ومن اكمله امراع

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz, Casablanca

والذي يجب اعلام السلطان به لينصح به نفسه وغيره من المومنين ان اكثر اتباعه
في الظلمة واهل الفساد من العامة والخاصة انما هو التنفيذ الحالي
في داره او في بيته ويكون الذي يجيبه ما جاء فتعلم وسائل وعزاه ويصل
اليه المسكين والعمود ويباح الظلمة حتى يقف على التحقيق ولا يهمونه
ولا يستكرهونه ولا يتهمونه والخاصة بخلاف ذلك فان اكثرهم وفاته
ترغب في الطلوع والصعود ثم اذا خرج في اجتماعه ثم يقف المسكين ان يصل
اليه ويستنكره الطالب فيقول هذا طالب دنيا لا ينفعني الله به لانه لم
يعمل بعلمه فيطلب غيره الى غير ذلك وان الذي والاهانة غالبا في المنقبض
دون المنبسط فانه غالبا غير ماهور ولا شك انه يجوز ان يكون في صحبة
الملوك من هو صحيح الدين فابين بالحق وانفق عنده ينتفع به وبتنبيهه ولكنه
اعز من الكبريت الاحمر والغالب عليهم رقة الديانة وطلب المداهنة في كل
شيء وامثالهم ويسكت كما وقع للاحنف بن قيس مع معاوية رضي الله عنهما
فان معاوية لما عهد الى ابنه يزيد دخلت العرب فشققوا الكلام وجعلوا
يثنون عليه وعلى ولي عهده ابنه فيه ويمدحونه والاحنف ساكت لا يتكلم فقال
له معاوية ما لك لا تتكلم يا ابا بحر فقال الاحنف اخاف الله ان كذبت واخافكم
ان صدقت فقال له معاوية جزاك الله عن الطاعة خيرا يا ابا بحر وامر له بالوف
فعمل من اشاخ ولكنه غير نافع به رماض وصوار يسومهم السلطان او غيره
انه ما سكت الا لكون اعلام الواقع معفوا واوائل ويحيب ويفهم ويساعد
ويساعده في كل قوله وفعل فلا يوم في ما الغالب عليه لخوفه على الدنيا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز
Fondation

واستهواء القلوب لاجلها لا يومن عليه ان يحسن القبيح ويقبح الحسن لاجل
الرضا له وربما افتى بقول شاذ لا يجوز العمل به طلبا لذلك وكل ذلك
فساد ومضرة على السلطان وغيره ولم يزل اهل الفضل والملوك يعرفون ذلك
فيتحرزون عنه لان العاقل لا يخادع لدينه ولا يخدع وكان يقال في عمر بن الخطاب
رضي الله عنه واعقل من ان يُخدع واتقى من ان يَخدع وكذلك كل امام ينبغي
ان يكون كذلك فلا يخفى عليه من يخادعه ويستميله على دينه وقد تقدم
رجل لمعاوية في المجلس المذكور انفا فقال له اعلم يا امير المومنين انك لو تقلدت
من ابايعتني يزيد على المسلمين لكنت قد ضيعت حقوقهم فلما خرج الاحنف
لقيه الرجل فقال له يا ابا بحر ان ابغض الخلق الينا يعني معاوية وابنه يعني
يزيد ولكنهم استوثقوا من هذه الاموال فلا نستخرجها الا بما ترى فقال
له الاحنف اسكت ايها الرجل فان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها وهذا
الصنف يتحرون الملوك ويصيبون من غشهم ورضاهم وقد شهد النبي صلى
الله عليه وسلم على مثل هذا وامثاله وهذه منهم وليس بعد شهادة رسول الله
صلى الله عليه وسلم شهادة ولا بعد قوله قول فقد عرفت العلماء امناء
الرسل ما لم يخالطوا الملوك فاذا خالطوهم فاتهموهم على دينكم او كما قال صلى
الله عليه وسلم ويقال خير الملوك الزائرون للعلماء وشر العلماء الزائرون
للملوك وليس في شيء من هذا منقصة للملوك بل لهؤلاء المذكورين وذلك
ان الملوك اقيموا لحفظ الدنيا وكلفوا سياسة الناس واستصلاحهم
وبصلاحهم يصلح دينهم وقوامهم الله تعالى على ذلك في الاحكام بيانا

الحكم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وعقولا في ذلك ولذلك يقال عقول الملوك ملوك العقول فلهم بذلك
الخصلة الحميدة والمأثرة الكريمة وان قاموا بميزان العدل في ذلك
فذلك لهم عند الله عظيمة وأما العالم في حاله وفضله المداخل والترفع
في هذه المنازل ليس بحيث في بابه ورتبه وانما شأنه ان يقعد في بيته ويرد
عليه كتب العلم فينظر في هذا وينسخ وله في ذلك انس ومسرة لا يعرفه
غيره وهم الجلساء اشار اليهما بقول بعضهم

لنا جلساء لا يمل حديثهم ... ألباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى ... وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا
فلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة ... ولا تتقي منهم لسانا ولا يدا
فإن قلت أحياء فلست بكاذب ... وان قلت أموات فلست مفندا

حتى يخرج منهم ما يحتاج المسلمون في معادهم ولو احتاج السلطان الى ما
عنده وجده عليها فاذا اخرج العالم عن حاله ودخل مداخل السلطان
فهو مليح الا انه يكون عذرا بالناس اعذار فاذا علم السلطان من ذلك كله
ما ينبغي له ان يلزم العلماء كلهم مجلسه دائما يتفضل بذلك على البقاء
النفع على المسلمين واحياء رسوم العلم الذي هو بصدده ولا يكثر عليهم
على سجاياهم من جلس منهم لنفع العباد لا غير فيجب السلطان الاعانة
عليه ويعلم انه مورده الا سلام ويستوهب منه الدعاء فان دعوته
عند الله عظيمة وفي الخبر ان معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى
الحيتان في البحر وجاء الى السلطان منهم فليحسن عشرته ولا سيما ان كان

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

سائر الناحية والنحو يقصر ومعنى ومن كلام والعالم من يودى وللعالم
هو يوذى وقد ركب زيد ابن ثابت فاخذ ابن عباس بركابه فقال له دعه
عنك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن عباس هكذا
امرنا ان نفعل بعلمائنا فقبل زيد راسه وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل
بيت نبينا ثم لا ينبغي للسلطان ان يحب كل احد ومن نصيحة اخيه لسلطانه
ما يحمل عليه منا والحرية نحوه بل ويطلع للصحبة وهم اهل الادب والعلم
والكرم ان الصباح الالسن الصباح الوجوه فيكون للسلطان بذلك متعة
شاغلة لقلبه بالعبرة ولاذنه بالخبر ولعينه بالنظر ولا ينبغي ان يهمل
حسن الخلقة وحسن الاسم فانه قد يعتبر شرعا وطبعا وقد اتفق الحكماء
في الفراسة الحكمية على ان خلقة الانسان تدل على الخلق المودع فيه من
خير وشر وكان صلى الله عليه وسلم يقول لعماله اذا ابردتم الي بريدا
ابردوه حسن الوجه حسن الاسم وبذلك صلى الله عليه وسلم اسماء رجال وبقاع
لذلك وكان يتفاءل صلى الله عليه وسلم بحسن الاسم فقال يوم الحديبية
حين قالوا هذا سهيل ابن عمرو سهل عليكم امركم واراد عمر رضي الله عنه
ان يستعمل رجلا فسأل عن اسمه فقيل ظالم بن سراق فقال هو يظلم وابوه
يسرق اطلبوا الخير عند حسان الوجوه وفي رواية اذا اطلبتم الحاجة
فاطلبوها الى حسان الوجوه وفي رواية اطلبوا الخير الى حسان
الوجوه قال رجل لابن عائشة يا ابا عبد الرحمان انما يعني من حسنة
الوجوه حسنة الخلق فقال ابن عائشة اسكت لا علم لك بكلام العرب

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فوائد الوجه انه يدل عليها الخبر ثم افشره

وجملة الوجه الذي لو يشكل بدء الروح والحسن والجمال استعمله

وانشد ايضا وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي

وانشد ايضا دل على معروفه وجهه بورك هذا هاديا من دليل

واخذه بعض الشعراء فقال

يدل على معروفه حسن وجهه وما زال حسن الوجه احدى الشواهد

وللامام الشافعي رضي الله عنه اعتناء عظيم بهذا الباب ويقال انه صنف فيه وكان يقول ليس سرور يعدل صحبة الاخوان ولا غم يعدل فراقهم ويقول احذروا الاعور والاحول والاشقر والكوسج وكل من فيه عاهة في بدنه فان فيه التواء ومعاشرته عسيرة وجرى له في ذلك قضايا احداهما انه كان بعث صاحبا له ليشتري له من السوق نوعا من العنب معروفا عندهم فلما جاء به وقعد بين يديه قال له عند من وجدته فقال له عند فلان واذا هو متهم بشيء من الصفات المكروهة فقال الامام رده عليه عنبه فقال له صاحبه يا ابا عبد الله لم تأكل العنب يأكله الناس فقال لا اريد ان يتم التعامل بيني وبينه والامام رضي الله عنه كره معاملته ولا يظن انه شح على الثمن كيف وهو الذي اعطي عشرة آلاف دينار ففرقها قبل ان دخل اعطاها مقامه حتى فنيت ثانيتهما انه جاء في سفر فنزل بخرج اليه رجل موصوف بالصفات المكروهة فعرض عليه الضيافة عنده في ذلك فألح عليه الرجل حتى ادخله داره فلم يترك من الاكرام شيئا الا صنعه مع غاية

حذر الشافعي رضي الله عنه من الناس

حكاية وقعت له رضي الله عنه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

التأديب والاهتداء والكلام فلما رأى الإمام ذا الإسلام وقال في نفسه من أراد
على الصفة الكريمة ومن الخبز يخرج منه فكيف يكون ممن ينقض علينا
الفاعل الفقير وبات من ليله في عكسه فلما أصبح وتهيأ للرحيل جلس الرجل
بين يديه واخرج بطاقة فيها مكتوب كل من أكل واتبع ليلته فقوما بقيمة
مضعفة وقال له أعطني مالي وإذا هو رجل مخادع يفجع بالضيافة فيخدع
الناس الذين أكلوا معه ولذلك ننهى عن الإمام وعلماء الغاية ألا يتبع ويوزن
له ماله عن كسب نفسه وارتحل وأما قول الكتاب أن يجر السبيل في الشاعر
والشاعر في غوامض الشعر إلى قوله فإن عذر في الشاعر عاطف كما وقوله
تسكن الزاوية من دار العقوبة فأقول أما الزاوية فإنه لم أدر سكنا فيها
ولم أجلس فيها ولم أمر ولا قرب ولا أحسن ولا قبلة ولا كان في عمارتها نفع في ولا
علانية مضرة ولا كلفتها والسلطان فيها ولا تشوفت إليها ولا عرفتني في
ببال بل السلطان أعلمه أنه من ديارها في تكسرت فرجعت أن يكون فيها غرم
وما أدري أنا لا أخرج أنا عن ذلك ثم كتب لي إلى والشريا في دار الكتب الرجل ويلبه
أن يسكن فيها ليتم مأمورة فأجبته بأنك تعالى فيها ولا عمل الجبة
ذلك بل عمارته بأمر السلطان على يد من يريد ومن المتولى لأمه قال الناس وإذا
ليم والحكم فيهم وإنا لا ناقة لي فيها ولا جمل وإنما أنا وأمر السلطان أن سكنت
فإنما أسكن مساعفة للسلطان وإلا فلا سكنى لي فيها ولا في غيرها وإلا فعلى
وإمام السلطان أيده الله يقول لي ما قلت لا الحق والتحقيق ثم سكن من
ذلك الحين رجع سيدنا التريد الرملك ومع سلطانه فلم يجاز الأكتابه بما

الأعمى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

بالرجل الذي في الزاوية عن ما عندها ولا بد من علم يكفيني انا الرجل ولغيار تحلت في دورة
البدو وهم افرد على التراضي ولا على انا عزلا ليلا يكون في النقاهي ثم حيث
للزاوية وهم اجر فيها داراً ولا اجراً فكيف بسائر الناس وانا ج انا انا ومن
لذلك توتا ملي من موجا امل جاه السلطان لكن انه اذا كان في بعدا اهتماما له
وتعز بها وحاشاه ان يريد اهتمام طلبة العلم بعد ما هي فيه من محبة العلم
واهله والشفقة على المسلمين وكيف نسبة في بعض هذا الذي يريد الزاوية معاذ
الله نعم ان بر السلطان فليفعل في كتابي ناد يسكني الزاوية وقد يريد انما
انما لا تصلح دار رجل عندها وحسبنا رجل من بلدي وانا على السمع والطاعة
ولا اشارة في ذلك انا الزوايا التي يعطيني في كل رحيل فاني لا غنى لي عنهما
وانا ندكنني الحاكم الذي فعله لمراد في السلطان اذا استغلته ولا اشتكيت
به عليه ولا ذكرت ذلك لمن يذكره بل انا على السمع والطاعة في كل شيء و
استغفر الله تقعرو انا استغل ذلك ولا اذكره لا بغض السلطان ولا عدم
اهتمام بالعلم واتباع المسلمين معاذ الله انما بغض السلطان فانا منه
عند الخوارج الذين يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية نعوذ بالله منهم
ومن قذائفهم ومذهب كل من يتشبه بهم ولو قلت ان عندي محبة من محبة
السلطان في قلبي اقوى مما يكون عند كثير ممن يتملقون بين يديه ويدعون
المحبة والمجاورة ويقولون في السلطان ما ليس في قلوبهم لم تكذب وسائر ذلك
في اخر الكلام ان شاء الله واما عدم اهتمام بالعلم ونفع المسلمين
بعيد المنقبين نعوذ بالله منها وفي الحديث الكريم من لم يهتم بالمسلمين فليس

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وأما غيره في اشتغال الخاطر بوجوه كثيرة أقتصر على بعضها منها
الكلف بالنعم أول ربيها بلغ في الجماح أو الواسعة بين الشيح والرمل والعشوش
والشوق فإنه يجب إذا احتن الرفقة رأى ومحل أبناء جنسه وفي
الحديث حب الوطن من الإيمان وقال الحكماء الكريم يحن إلى وطنه كما يحن
النجيب إلى عطنه وفيه النقل أيضا الكريم يحن إلى جنابه كما يحن الأسد إلى
غابه وفيه أيضا ميلك إلى مولدك من كرم محتدك وقال عمر بن عبد الله
قيل لبعض الحكماء بأي شيء تعرف وفاء الرجل ودوام عهده دون تجربة
واختبار فقال بحنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وتلهفه على ما مضى
من زمانه وقال الأصمعي إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودوام عهده
فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه
وقال أعرابي

أحب بلاد الله ما بين منعج ۞ إلي وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها عنا الشباب تمائمي ۞ وأول أرض مس جلدي ترابها

وقال آخر

ذكرت بلادي فاستهلت مدامعي ۞ لشوقي إلى عهد الصبا المتقادم
حننت إلى أرض بها اخضر شاربي ۞ وقطع عني قبل عقد التمائم

وقال ابن لبابة

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ۞ بجمة حيث ربى أهلي
بلاد بها نيطت علي تمائمي ۞ وقطعن عني حين أدركني عقلي

وقال

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

وقال ابو هلال العسكري

إذا أنا لا أشتاق أرض عشيرتي ● فليس مكاني في النهى بمكين

من العقل أن أشتاق أول منزل ● غنيت بخفض في ذراه ولين

وروض رعاه بالأصائل ناظري ● وغصن ثناه بالغداة يميني

وإني لا أنسى العهود التي جرت ● إذا أن مثنى النوى دون الخليل ودوني

إذا أنا لم أرع العهود على النوى ● فلست بمأمون ولا بأمين

وسمع أبو دلف قول القائل

لا ينعم العيش في دعة ● تروع نفسي إلى أهلي وأوطاني

تلقى بكل بلاد إن حللت بها ● أهلا بأهل وجيرانا بجيران

فقال هذا ألأم بيت قالته العرب وإنما قال ذلك لما فيه من قسوة القلب وغلظة الطبع وقلة الوفاء ورعي الذمام والعهد وقد قال صلى الله عليه وسلم في امرأة دخلت إليه حين إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان وهذا أمر مجبول عليه طبع ابن آدم فلا نقصان به على الإنسان وإن بلغ ما عسى أن يبلغ من الكمال والصفاء وقد أسند عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مدح الصديق فقال أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعني بلالا رضي الله عنه فما ظنك بهذا الذي اعترف له بالسيادة يعني في ذاتها والزمن عمر إلى بحرته منزلة فادحة ومن نزل الغربة على وجه لسانه وجميل ثم بلال رضي الله عنه كان إذا رفعت عنه الحمى رفع عقيرته وينشد

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ● بواد وحولي إذخر وجليل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وهل اردن يوما مياه مجنة   وهل يبدون لي شامة وطفيل
ثم يقول لعن الله شيبة وربيعة وعتبة بن ربيعة واباجهل بن هشام
كما اخرجونا من ارضنا الى ارض الوبا والوخم مجزادكر الوخم ودكره
فيه ان البادية البعيدة عن الوخم وبه رفع الشكوى ما هو الف النفوس
وتجابه الهمة وفي قوله صلى الله عليه وسلم الوحشة او مجرد اشارة
الى من الامر الحسنى وقد دخل رجل عليه صلى الله عليه وسلم في المدينة ومعه
بعض اهله فاخبر انه جاء من مكة وقال تركتها من تعتم الجليل وكذا
وكذا يعدد محاسنها فاغرورقت عيونهم بالبكاء فقال صلى الله عليه
وسلم لا تشوقنا يا بلال وقال صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة
كحبنا مكة او اشد ووقع في بعض الكتب انه صلى الله عليه ليلة الاسرى
لما زج به في النور وفارقه جبريل اسمعه الله حينئذ كلام ابي بكر ليانس
به لكونه الف ذلك من البشر فيتقوى على ما يلقى من الامور العظام ومنها
النظر في السكن وفي العشائر فان المعاشرة صورة مقصورة لا يراد منها الا
نفع من دخل دار الملك تكلمه هو وعياله واولاده ومن تعلق به ولو كان
كان في غاية الاتساع ووجب ان يتحرى من لا يجوز نكاله ان يراه في موضعه
او من يدخل عليه وفي ذلك الفساد الكبير او من يحتشم منه وفي ذلك الفساد الكبير
والضرر واما مجرد الدار الخربة وجب ان يفارق من لا تمكنه مفارقته ويعتقد
الرمكونات ومن حاجة عنها وكذا في العشائر فان كل شيء بالشيء يذكر
الذي هو اصل الاشياء لا بد له من نفعة فيه ان كان نحو مكناسة وفي

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

أنخال والدربلاء والخيم والحمر ونحو ذلك لأن كان يعاشر فيه كسر الغواديس
والخنافسا والتشكيك كالحمير ونحو ذلك مما بالجملة فوق الماء من الحكك
والبياض والغوث ومحطه واللباس ونحو ذلك فساد كجمع
العيال والأولاد والأعمال. ونحسن أيضا في أنفسنا وذلك من جملة
أمرهما تعلق الشهوات والاتساع فيها وأنا كنا بالبادية بلا نعيم
ووجدنا آباءنا يعيشون بما وجدوا فإنهم كانوا يلبسون الصوف
لحسن وبالكلوة التي تارة والشعير أخرى والرفق أخرى والتمر أخرى
والبلوط وحب العرعار أخرى حاملين على الجوع ما أرادوا فهذه البادية التي ولا
أبرار ولا عظم ولا كتانا ولا مالها من دهو اساميهم غير تابعين ولا
متبوعين وكنا نمتثل أمر الله لولا ما من الله علينا به من حفظ كتابه والتفقه
في دينه نسأل الله تعالى الذي رزقنا ذلك إقبالا عليه وإدبارا عن زمرة
الدنيا حتى بلغنا أمرا فلما دخلنا الحاضرة كثرت الشهوات ونظر
النساء إلى النساء والصبيان إلى الصبيان والرجال إلى الرجال فطلبوا
الاتساع كما اتسعوا وابتلينا كما ابتلوا إلا أننا المواقعة في ذلك
وقلة الحياء بقدر كنا في البادية تستحيي المرأة لمن تطلب اللحم فكيف بما
ولدت ولا تشتهي اللحم أو ضيف ينزل فيذبح له أو شيء لسنة
أو أنعام يأتي به الله ونحو ذلك فوجدنا المرأة في الحاضرة تراعي
البال وتقول للرجل اشتر وارجع للسوق فلا تسمع إلا سوق اللحم
سوق الحوت سوق الزعفران وهكذا وإن ذلك وإذا وقع الراعي وجاء

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

وجل الفاضي وقد قال سيدنا عمر رضي الله عنه كنا معشر قريش نغلب
النساء فاتينا قوما تغلبهم نساؤهم فاخذ نساؤنا يتعلمن من نسائهم
ومنها ان يتخلق الهيبة اللؤم والبخل وقلة السماحة كما هو دأب
اهل الحاضرة وما فسدت طبائع العرب الا في الحواضر فاين كرماء غطفان
واين كرماء بني تميم الذين ينحرون الابل في غيبة ولا يغرون الا الحماة يفا
ولقد تحدث بعض صعاليك العرب فقال نزلت على رجل من كلب فنحر لي فلما
اصبحنا نحر ايضا فقلت اللحم عندك كثير فقال لا احب ان ياكل ضيفي الا لحما
غريضا اذكي يا فلما استحيي وكذا اكل غزالة وعشر فبعد اياما وخرجت وكت
ابلا بعد احمر فبعد ثمانا واستعملت مما البعير فبلغ الغوث اليه فتبعني
فلما امو ادركني فلما راه اخذ قبض قوسه وقال انج بنفسك الا الحق لا يفعل
ارى دابة فقال انكر الي ذا الذي الورع على انتم اضعفاء ذنبه في الحما
اضعافا ذنبه وزاد اخرى فلما رايناه لك استانسنا فسار الى ابله وانا معه
فصار ساعة فالتفت الي فقال ما ادري بيننا وبينك عداوة وما الذي حملك
على ما فعلت الا الحاجة فقلت هو ذلك فقال اعزل منها خمسمائة فقلت
اذا لا تبرح حتى تسمع ثنائي عليك قال فاثنيت عليه بكلمات فاستحيا
واعرض بوجهه وقال سمعنا كلنا فاين صنائع هؤلاء في اعقابهم اليوم
وهم في حلب وانطاكية ودمشق ومصر والعراق وغيرهما ولا يبقون
بقية وذلك مما اكتسبوه من البلد والحضر لعظم مرتك الفخر وقد
قال صلى الله عليه وسلم اي داء ادوى من البخل ومنها فساد اهلها

جود العرب كيف كان

والنفوس

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

والتحضير لا فايتهم وتثبيتهم ولا سيما ابناء الجنس ولغيركم ملني السلطان
مولانا الى تيسير بالرحيل الى فاس ومال نهب الكتب والماء البارد قوتا
كل الخالق ويتنفع بها المسلمون ولم اكره رايت فاما فعل ذلك وكان
كان لي على بذاله ولا مال اهله فعلت هذا والله خير وقبلت قول السلطان
وارتحلت بنية صالحة على اخذ العلم وجاءني وان كان مناخ وهو اسلم مني
كسبي عبد القادر لغيبته وتبع كتابه فبقيت خارج فاس نحو ليلتين والطلبة
يترددون الي قبل ان ادخل المدينة حتى لم تبق لي سنة مركبة الغيل والقال
وجعل كل واحد يجري في الناس ومن اكل طعام مما يمكنني ان اشرب
ماء ولا ان اكل طعاما في ايامي ولا اجلس على الجنة الكرسي
حتى يغلبها اصحابي ولا تعرف ومن بابه فتنة وبلاء نشر لي البث الذي صح كلاعول
قليلا حتى وقف فبقيته حتى نقلت وجعت مكانا لا وكذلك معشر
ذلك فام الي اصحابه فقالوا هذا امر واضح تبين هذا عمل تحمل له على
مجلس القراءة لئلا تشتغل به فانه فتنة على الناس فلا قدمه
وقلت في التسمم وجعلوا يكتبون لي معاذا لم تزل اليوم على يجي ثم
امكنني بإذن الله ان اخذ الميعاد ثم لما رجع السلطان والشوش وجمت
العطايا للفقهاء وخرجت العطايا لطلبة العلم وكانت عطايا الطلبة
تنقل الى القضاة ليتولوا قسمتها عليهم بعثرة لذا جعل الطلبة
يسالون مجلسي ويرصدون الرحيل كأن العطايا حتى لم تبق في مجلس
بحمد الله الا ومحبته العلم لا الدنيا واكثرهم الغرباء وقليل من اهل البلاد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

واكثر اهل البلاد انما همتهم في تجارة يقتضونها او حراث او كسب او شهادة
يتولونها ثم تجارة اذ انما نشأ اطلع الى السلطان بعض الاعيان فجعلوا
يتعلقون بي كطلب الشفاعة ويثقلون علي وانا ما احب ان افتح هذا
الباب على نفسي لانه يتركني بلا شغل ولانه لا اقدر على ذلك ولا اصلح له
فانه يحتاج الى مزيد فراسة وابانة وحسن نية وتودد وانا بعيد عن هذا
كله انما انا رجل بدوي مضطر من ايضا فتنة على وشغلا عن تلك الفضائل
لا اتفرغ الا للشعر او النحو او الشعر ومن كثير من الاعيان لم تصل الينا
العظمة حتى نكون من اعزنا من السوء اشياء بالكرم مع الذكاء والكرم
عطاء ولا ان يكون ذلك الا لما دام يدخل ويخرج حتى انا خرجنا وما بقي لم
يتبعنا احد وامر ذلك وما مات السلطان انقطع ذلك وبقينا
في فتنة مع العمال فقلت لاصحابنا من اهل الحاضرة ليست لنا بدار قرار وانا
لسنا واهلها لا جار ولا مال وقد تبع ضمانها لما رايتم والبلاد والقرى
كل ناحية حتى لو وقفنا النكح لم يبق لنا ان نبقى فيها مع من فقال
تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وان اهل الحاضرة لم يشتغلوا
بالعلم وانما اشتغلوا بالحكومة الدنيوية وهؤلاء العرباء والكلاب
البادية ارفق بهم لانهم يغزون منها بلا بضاعة وينجون مع ذلك من
الكلفة وان تسرق كساءهم كساء هؤلاء الشلاعيم فكان من وجهنا
الى البادية راجعا او راجيا والعلم عندنا منحصر اعرف بما يعلمها واعلم
مكة اعرف شغلها غير ان الغرض قبل سيرنا وقفت ان ان تر... او اكل

وذلك

ذلك حين خرجت دار ابن عباس واخوتنا سيدي عثمان وبنو ابن ناصر فيقول
كنت مع حبيبي واليوم تمر بوه كلكم عني منصرفة وفوضت امري الى الله
حتى جاء الله بالسبب وهو خلاف الفعل فاسر خرجت دار فيه وسيرفنا
وزكر من الشعب الذي كنا فيه وبنيت دويرات بغير مؤونة واتسعت
لنفسي موضعا وبابا للزيارة فيه فضاء اوراء وغير عيالي وبنيت بيتا
ملتصقا بالمسجد فيه رايت بالخارج فلكنة لا تحجبني دونهم فاذا قاموا
الصلاة صليت معهم وانا اسمع قراءة الامام وابقى على ذلك الى ان تطلع
الشمس ولا اشمس بالدار احدا ولا يراني احد في كتبي حتى تعلو الشمس
ولا يضيع على شيء من اوقاتي وسافيا تجري له في وسط الدار والخضرة
في وسط الدار وعلى بابها والعكس في بلاد الدار والمؤونة مكفية وما
لم يوجد نستغني عنه لان الاجار يغني ولا سوق يقطع الغرر ومادة
طلبة وكنا ندرس العلم لانه لا يشوش احد منا المرتب ولا يراني احد
امرا ولا نسمع قال فلان ولا فعل فلان واسترحنا وحمدنا الله تعالى ووجدنا
صلاح ديننا وراحة قلوبنا وابداننا في هذا وهو سبب اشتغالنا
للنزول الى الخارج ومن جنبها وذاك من اقمائه ووجد الواحد منا كيف
يجب الرجوع اليها هذا لا يفعله عاقل بنفسه ولا يلومه احد ولا يعرف
قلة لعل من اهذا ولذلك تلوم هذا مع ان سيرنا ايك الله
مطلع على الكل امور لم تقف عليه ومن ذلك انما تم هنا خيم الغلب
السلطان نصره الله على الحق فيعلم انه انما لم يتدارك الكلام قبله

صح الغافل

نها

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

وفاته لتعذر الامر علينا شرعا وطبعا ولو امكننا في الحال لبادرنا اليه
ما تغير قلبه ام عظم علينا وان كان يعلم ويصح لانه سلطان
المسلمين وسلالة سيد المرسلين مودتنا له لو امكننا ان اخرجه لأشعار
عيننا وأما الونشريسي فالى الشريعة المحمدية فلا نحتاج الى الونشريسي
ومن اولا حجة علينا ولا هو فقيه فانه لا يجب علينا ان نرحل الى
المراكشي لنتعلم العلم لعل بينه يوشي الحكم ولم يوجب الشرع على
بروان يتعلم كما لم يوجب على غيره ان يشترى نعم كان في صدر
الاسلام او الجاهلية حيث كان العرب على كفرهم وكان من اسلم
يهاجر بدينه من الفتنة فلما افتتحت مكة واسلمت العرب انقطع ذلك
الامر فقال صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية
وقال لا غربة لاهل العلم ووراء البحار فان الله لا يخفى عليه من عمل شيء
وبقي الامر على ذلك فمن احتاج الى العلم رحل اليه وطلبه قال
صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين ومن اعظم الاشياء المتعلقة
والمخاطب العلماء ان تحكوا اليوم عن علمهم وقال صلى الله عليه
وسلم يوشك الناس ان يضربوا اكباد الابل في طلب العلم الحديث ومن ساو
اهل الاندلس من هاجر الى الحجاز حتى اخذوا العلم عن الامام مالك
وكذا اهل مصر وغيرهم وطلب العلم اذا لم تكن معه نية وفاد
لا ينتج وصاحب الغرفة لا تقر كرينة ان ينظر ويلاقيه من كان في
القيسارية جلب على فلوسه حتى اذا سمع بعالم دخل المسجد الا حتى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود - الدار البيضاء
Fondation

على الحانوت وجاء يستمع وقلبه باق في الحانوت يحسب متى يحصل له العلم بمهلات مهملات انما يحب العلم من انبعثت همته فلبه تذكره ضياع ايامه وتنسيه جميع اولاده واموالـه ويقول كما قال ابن القاسم حين تهيأ للرحيل الى الامام مالك رضي الله عنهما

أقول لها والعيس تنفخ للنوى ❋ اعدي لفقدي ما استطعت والصبر
البين مني الحدماء ليالياً ❋ ثم بلا نفع وتحسب من عمري

فبالجملة يعرف المعلم للمتعلم ميلان وصدقه قبل العلم فلا ينبغي ان يبذل لكل احد وانما يبذل لاهله وفي الخبر لا تؤتوا الحكمة غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم **ومن** الحديث ايضا عن الاعمش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة العلم النسيان واضاعته ان تحدث به غير اهله **ويروى** عن عيسى عليه السلام قال لا تلقوا اللؤلؤ الى الخنزير فانه لا يصنع باللؤلؤ شيئا ولا تعطوا الحكمة من لا يريدها فان الحكمة خير من اللؤلؤ ومن لا يريدها اشر من الخنزير والاخبار والآثار في هذا كثيرة وقال بعضهم

ألا انشر درا بين سارحة الغنم ❋ أو انظم منثورا لراعية النعم
فان يسعفني الله من فضله ❋ وصادفت اهلا للعلوم وللحكم
بثثت مفيدا واستفدت مودة ❋ والا فمخزون لدي ومكتتم
ومن منح الجهال علما اضاعه ❋ ومن منع المستوجبين فقد ظلم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز Fondation

وفي موت الصفوة قال كميل بن زياد أخذ علي بن أبي طالب كرم الله
وجهه بيدي فأخرجني إلى ناحية الجبان فلما أصحر جلس ثم تنفس
ثم قال يا كميل بن زياد إن القلوب أوعية فخيرها أوعاها احفظ ما
أقول لك الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج
رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم
ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال
العلم يزكو على العمل والمال تنقصه النفقة العلم حاكم والمال محكوم
عليه وصنيعة المال تزول بزواله ومحبة العلم دين يدان بها تكسبه
الطاعة في حياته وجميل الأحدوثة بعد مماته مات خزان المال وهم أحياء
والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة
إن هاهنا وأومأ إلى صدره علوما لو أصبت لها حملة بلى أصبت
له لقنا غير مأمون عليه يستعمل آلة الدين للدنيا يستظهر بنعم الله على
عباده وبحججه على كتابه أو معاندا لأهل الحق لا بصيرة له في أحنائه
يقتدح الشك في قلبه بأول عارض شبهة لا ذا ولا ذاك أو منهوم سلس
القياد للشهوات أو مغرى بجمع المال والادخار أقرب شبها بهم الأنعام
السائمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم بلى لن تخلو الأرض من قائم تعالى
لله بحجة كيلا تبطل حجج الله وبيناته أولئك الأقلون عددا
الأعظمون عند الله قدرا بهم يحفظ الله حججه حتى يؤدوها إلى
نظرائهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر

فاستلانوا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فاستانفوا ما استوعر الفهم منه، واستنبطوا ما استوحش منه الجاهلون
صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى آه آه شوقا الى رؤيتهم
واستغفر الله العظيم لي ولك فانظر الى الامام الموفق علي
كرم الله وجهه كيف افصح بانه لم يجد من هو اهل للتعليم
مع كثرة من هو له من الصحابة والتابعين كلا من موجود وعاد ومنهم
فاذا يقول فما وجد اللقن الذي يحفظ ويفهم ويجمع العلم
لاكنه غير مامون لانه يتبع الدنيا فيتخذ العلم آلة لاستجلاب حطام
عاجل دنياه وحطامها وهذه الحالة فكيف يكون حال زمننا وانت
ترى مع ذلك من يعترف بعون علمه بموته ومع لم يتخذ الى امصار
المسلمين ليلقى من يصلح للعلم فيبثه علمه ولا يضيعه وهذا الذي
الاكوفة لا يلقى من ياخذ علمه بل وليس ذلك من الاداب
واعلم ان من آداب العلم وذلك من يصلح له يعلم ومن لا كل ذلك
مشروح في كتاب الاحياء فليسوف لو اشتغلنا به لطال وقد
ذكر الشيخ العارف ابو عبد الله محمد بن عباد في شرح الحكم شيئا
من ذلك وما ينشر عن ذلك من المجالس والاوقات قال وعلى
المعلم الناصح ذي همة السالك عقله وحسنه العاقل عن تصحيح
اعماله ونيته المشتغل على دينه الذي هو منوط بحمد وصحبه ان
يتقابل هذا المجلس ويغير بما هو له من المصالح لما شنيعة عن
التعليم في هذه الازمنة من عمه ويدفع التكلم في ذلك بما يدفعه

في اكثر المسائل التي لا يحتاج اليها ولا يقدر على التعلم في هذه الازمنة
فوات العلل المزمنة حتى يقطع بوجوب ذلك عليه من غير
تردد ولا تجويز وقوع خلل في نظره ولا سبيل له الى هذا ولا يسمع
خلاف ذلك اذا كان منصفا قال بعضهم رايت سفيان الثوري
حزينا فسالته عن ذلك فقال: ما هو الا متجر لابناء الدنيا قلت
قلت وكيف ذلك قال يلزمنا احدهم حتى اذا عرف بنا وحمل عنا جعل
عاملا او حاجبا او قهرمانا او جابيا فيقول حدثنا سفيان
الثوري وغلبه ابطال يحرص على مخالفة نفسه فيما تدعو اليه
من التعلم الى كل ما تستحليه النفس ويوافق غرضه محضور
بل لا مراء والعلل التي تقع في الاقتصار الخير منه ومن ذات
كانما هو مما بات العالم لا يقدر على التعلم حتى يتحقق وجوب
التعليم عليه لانه متى لم يجب وغلبته الافات المفسدة فضلا
سعيه وانه لا سبيل الى تحقق الوجوب فلم يبق الا الترك والفرار
اليسير فقد اكثر من هذا المعنى في رسايله وانما قال ذلك لجارة
في زمنه وزمننا هذا مثله واشد منه وهذا لا يوجب انقطاع العلم
لان حكمة الله جارية وعادته مطردة ان يحفظ رسوم العلم
ويبين الدين اما بصالح او بفاجر لا يبالي بنفسه ولا يبكي على
حلول رمسه فالعاقل النصيح يبرا بنفسه فينكر لما ياتي
لهما عذرا بها ولا ثم في مصالح المسلمين ثانيا واحمو الجفاء من

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود
Fondation

ضيع نفسه وتكلف ولقي الناس متعاطيا العلم رياء وسمعة واجتلابا
للدنيا ويتصدر حيث لا ينبغي ويكتفي بما فعله نفسه من انه احيا العلم
واحيا الدين نعم ربما احيا غيره ومن قتل نفسه بسببها والعياذ بالله
عوض ان يحيى كان يكون من الذين وردنا فيهم من دخل الناس بعلمهم وادخلهم
الجنة وهم يدخلون النار نعوذ بالله من مكر الله وانما
ذكر ناس من العلماء ان التعليم ليس مطلوبا على كل حال بل له شروط وكذا
ان تنال رتبتها وما بعد اكثر من نفع الراغب علمه وعمله فمن اقتصر
على قدر من التعليم قليل او ترك التعليم راسا او نزل حيث لا يمكنه
التعليم فيما يجوز له يسارع اليه بالطعن وينسب اليه انه ضيع
العلم حتى يبحث عن حاله هل توجه اليه الطلب بالتعليم او لا فان توجه
اليه ووجد الامكان ومن موانع الاخلاص ترك به بحيث ينبغي الانكار
وحيث ما متى تحقق ذلك ومنه الطلع على حاله من خارج حتى يطلع
على قلبه والعجب انه متى رأى من قلبه رياء وشهوة فيما تطلع
منه الفرائض التعليم ليس بعوض عن الطرق حتى يفعل على كل حال
بل هو كفاية حتى لم يحرم به اما فيه لكونه وغيره يقوم به ⁂
ويشتغل بعبادة اخرى يحرم فيها ذلك ومن كان بعض السلف من
العلماء ترك الحديث وكان يقول اني اشتهي ان احدث ولو انفكت
عن شهوة الحديث لحدثت فالعالم اذا لم يجد التعليم الا كانت له
جهات يخرج منها ولا ينسب اليه لوم ولا تضييع كان يكون لم يجد

التعليم له شروط وكذا

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز
Fondation

متعلما اذا فاته عاقلا وذلك يدركه العالم وفاهم انه اذا غلب لينا
ما في القلب مكانه وضع يده في الأثر عن اكله واذا غلب غضبا
او مشغولا عنه مكانه صم بمعول على الغم وجمع اليه راسه وكان ركوبه
لم يجد من نفسه انشاطا والغرض انه لم يتعين عليه او لم يجد امكانا
او مكانا او زمانا او يكون مشغول القلب بكفاية او خوف على نفس او
مال او عرض او نحو ذلك او غير ما الاشتغال بالتصنيف اعود على الناس
وانبت وابقى من فلفلة المجالس بلا تحصيل ولا سيما طلبة المغرب
فانهم لا همة لهم في التعليم فينشر الشيخ في المجلس الفوائد وتذهب
ضايعة لا يفيد ما اخر ولو اشتغل بالتصنيف لغير ذلك او من الكذا
التعليم كفاية والغير قد فاته في اي بلد مشتغل من نحو خويصة نفسه
وفي الحديث اذا رأيتم شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه
فعليك بخويصة نفسك او يرى هوانا على نفسه او على علمه فينقبض
حفظا لرتبة العلم

يقولون لي فيك انقباض وانما • رأوا رجلا عن موقف الذل احجما
اذا قيل هذا مورد قلت قد ارى • ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي • لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا واجنيه ذلة • اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم • ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهانوا ودنسوا • محياه بالاطماع حتى تجهما

صح والنكت

أو يرى أنه قد بلغ سن العبادة ومن أربعين فيشتغل بنفسه ويكتفي
بما مضى فيه من نفع العباد أيام الشباب وكان يقال العلم إلى أربعين
ثم العبادة وفي منزلة الحالة قال حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه
وقد كان في التعليم وسلك محجة السلوك فعليه بعض أصحابه
وقال من الإمام أبو العربي فأنشأ يقول

تركت هوى سعدى وليلى بمعزل ... وعدت إلى تصحيح أول منزل
فنادتني الأشواق مهلا فهذه ... منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد ... لغزلي نساجا فكسرت مغزلي

عمارة الكتاب

من اضيعة العلم بسكنى البادية أولاد الناس
قد ضاع فهمهم وفني قد تيسر جوابه عليهم ما لم يكن مضى يأتي بكل
أبو جعل ثم رجعت إلى البادية لم يكن على وجه مكيف والبادية
لطي ومنشأ مستوجب على دخول الحاضرة والغذاء بنفسه وعياله
في الحرث والقيام والعشر التي تقدم ثم ما لا يجلس إلى كتاب المذا
هب والمراتب مكرا ما لا يجب وأيسر وربما لا يستدام الا مرا
لو تركت التعليم لكان كيف وأخذ له ما تركته ولا أخلو تا عنه في
حين في الكريبو كما أن أهل الحاضرة محتاجون فأهل العلم وأهل
البادية محتاجون أكثر وكلهم عباد الله المومنون والبلاد بلاد الله
والعباد عباد الله وأمة النبي صلى الله عليه وسلم في الأمصار
وفي القرى وفي العمود والقرى وسائر بين الأمصار والعمود وغير الأمور

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

أو سكناهما وقد ابتلي أهل العمود بالجفا والغلظة وأهل الأمصار بالد
عة والملق وفاز أهل العمود بالعز والكرم وقال الأعرابي

فمن تكن الحضارة أعجبته   فأي رجال بادية ترانا

من ابو الفتح ود الهج محاسنه   من نسل شيبان بين الضال والسلم

في مجموع بين ومن أعرابي رد النبي صلى الله عليه وسلم أداة الحرث
فقال ما دخل هذا بيت قوم إلا دخله الذل وقال أبو العلاء المعري
في سقط

الموقدون بنجد نار بادية   لا يحضرون وفقد العز في الحضر

ثم ان من أهل البادية وأقاموا الحضر فقرب بعضهم من بعض وأما
الغور ففي حكم الحاضرة وأما البادية فسميت لأنها البروز ما فيها أي
ظهوره للعيون إذ لا جدار فيها ولا أبنية ولا أسقف والقرية بخلاف ذلك
وفيها أهل ما في الحاضرة من المصالح ومازت بخفة المؤونة وقلة الشغل
وفي الحديث يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها
شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وفيه أيضا أفضل الناس
رجل رجل آخذ بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها ورجل
في غنيمة في شعفة الجبال وفي الحديث الآخر ورجل معتزل في شعب
يعبد الله ويدع الناس وكلها علامة يخرج فيها العامي والعالم
ويختلف الناس في هذا بحسب الأحوال والأزمنة والنيات وأما ما
ورد في السنة من الحض على لزوم الجماعة والوعيد على مفارقتها
فصحيح ويتصور في شيئين أحدهما لزوم الطاعة وترك الشقاق

فع
لم سميت البادية بادية

مهم
الجبال

والشوفة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

ومنازعة الاولي الامر وهذا عام عند جمهور اهل السنة لكل واحد
في كل زمان وهو يرجع الى الاعتقاد وما يستتبع من الاعتراف
والتسليم واداء الحقوق والى المعاشرة والمساكنة فلو ان
رجلا مسلما كان في جزيرة البحر وهو يتدين بما يدين به المسلمون في
بعض ما يعترفون ويسلمون على ما عليه يتفقون لكان داخلا
في جماعة المسلمين ولو ان رجلا في الشرق بين اظهرهم وهو لا يعترف
ولا يسلمون كفعل الخوارج لكان خارجا من الجماعة داخلا
في الوعيد [illegible] المعاشرة والصحبة فمن التعاون على
الخير علما وعملا وجهادا او هذا مخصوص بخصوص فقد كان في الامر
الصدر الاول حيث كان الدين والعمل في الجمهور يتعاونون
كما امرهم الله ويتناصحون ويتناصرون ويتعلم الجاهل من العالم
والجافي من الاديب ويتعظ المتهاون بالمجاهد والراغب
بالزاهد الى غير ذلك فلم تكن العزلة اذ ذاك مرغوبا عنها ولذلك
روي ان قوما خرجوا الى الجبانة فبنوا بناء وجعلوا يتعبدون فبلغ ذلك
فخرج اليهم ابن مسعود رضي الله عنه فلاقاهم وقال ارجعوا
فعلموا من دونكم وتعلموا ممن فوقكم وامروا بالمعروف وانهوا
عن المنكر ولم يزل بهم حتى خرجوا فانصرفوا وقد فعلوا فلما فسد الزمان
وغلبت الشهوات والغفلة الصدور واللهو وكثر الجهل والاهواء والبدع ووقع
التقاطع والتدابر والتباغض طلبت العزلة وربما وجبت وصارت

مؤسسة الملك عبد العزيز
Fondation
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

فصل في الجماعة المأمور بها

في المبادرة

الجماعة المكتوبة إن وجدها المأموم يبقى على الحضور الأول لأنه أدنى في أزمنة
المنافع والمصالح ولو كان قليلا أو لم يكن إلا واحدا وقد سئل ابن
مالك عن الجماعة المأمور بها وما هي فقال أبو بكر وعمر فقيل له مات
أبو بكر وعمر فقال فلان وفلان فقيل له مات فلان وفلان فقال
أبو حمزة السكري جماعة وروي عن سفيان الثوري رضي الله عنه
أنه قال في تفسير الجماعة لو أن فقيها على رأس جبل لكان هو
الجماعة فإذا احضر عالم أو علماء المراد الأدب واصطلاح سنن السنة
فأينما وجد الإنسان ذلك فليغتنمه ومن وجد عنده ذلك
فليلزمه ومن كفاه الله في نفسه بأن حصل عنده من العلم ما يكتفي
به فليحمد الله حيث أمكنه من بلوغ حجه كما قال صلى الله عليه
وسلم لكاعب ابن اعمل من وراء البحار فإن الله لن يترك لك شيئا أو كما
وكان أبو عبد الله الهواري التونسي من أكابر العلماء وأكابر
الصالحين فترك الحاضرة وسكن البادية فقال له بعض أصحابنا
لم سكنت البادية وتركت الحاضرة فقال ما أسكنني البادية
فإن أهل اللغة أرادوا أن ينكر عليهما موقف دخولهما إلى وقت
خروجهما والكون على علم من أمر معاشي فكان يزرع البر ويلازمه
إلى وقت حصاده وكان الإمام أبو الحسن بن القابسي يحكي
عن محمد ابن بكر بن زرب أنه أقام مدة لم ير أبا عمران فقال وما
كنا نعثر عليه إلا في بطون الأودية وشعاب الجبال رضي الله

فصل جواب أبي عبد الله الهواري حين ليم على سكنى البادية

عنهما

عنهما وهذا كله بيان للحق وان التعليم ليس بلازم للعالم
على الاطلاق وكذا ان يقتحم عليه تغربا عن وطنه ولا اقتحاما لمشقة
نفسه او عياله وان كان بعض ما في زناده مما يشتغل اتباعا للعادة
الجارية والالفة المألوفة فان العادة قد جرت باحتفال اهل العلم
للتعلم والتعليم ونصب المجالس لذلك فمن رأى ذلك من العامة او
قاصر في الافهام من غيرهم لم يشك في ان ذلك هو الدين القويم وانه
حياة العلم ووضوح سننه وانتشار الفقه واهل البصيرة يعلمون
ان اكثر ذلك بهم من زايف وعلم غير معمل وضلال بحبور نجهل وذلك
لفساد النيات وكثرة الآفات فقد الفلاح وغير النجاح مما اكثر
المركب وما اقل الفلاح تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام -
قليل و بعض الفضلاء ان الناس كلهم هلكى الا العالمين والعالمون
هلكى الا العاملين والعاملون هلكى الا المخلصين والمخلصون قليل
اي فهم قليل فقليل والمشتغلون اكثرهم يحمل على اهل الاهمال
لجمود واهل العلم تعبع فان العلم كما قيل ان اعطيته كلك اعطاك
بعضه وان اعطيته بعضك لم يعطك شيئا واهل الاقدام قبل
الوصول واهل الانقطاع كرها او اختيارا او جهلا وذلك ان
يستعجل الاستقبال ويظن انه قد وصل وقد كان يقال العلم ثلاث
درجات من بلغ الاولى ظن انه من العلماء بجهله ومن بلغ الثانية
علم انه الى علم مفتقر وذلك لانه اجمع على بحار العلم المتلاطمة

العلم ثلاث درجات

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

مقالة الأعمش رضي الله عنه وأن الآخذين للعلم على ثلاثة اصناف

الأمواج ومهما مهمه الواسعة الفجاج واما الثلاثة فلا سبيل اليها
والمحمل فلا ينتفع بما حمله وفي الأثر فلا ينتفع به وفيكم ما لعالم لا ينتفع
به قليل من قليل وقد أنكر رجل على الأعمش رضي الله عنه بنشر العلم
وقال له انك احييت العلم بكثرة من اخذ عنك فقال الأعمش هم
ثلاثة اصناف صنف يموتون قبل الادراك فيذهب علمهم وصنف
يصحبون الملوك فيذهب علمهم وصنف ينسون ما علموا فيذهب
علمهم وهذه المثل التي ذكر الأعمش هي ايضا كثيرة فلو تكلم المجتهد
في ذلك لافتى بالمنع او الكراهة كذا اما سعى لغرض ممنوع فيمتنع
واما عبث وعمل في غير محل فيكره او يمتنع ايضا ومنهم من يفهم
لطلب المراء او لتعلمه او للتجسس على من يقول او يفعل فهذا
للافساد وفي هذا النوع قال الامام ابن عباد فعلى السكير المريد
ان يفعل ما فعل ابو سفيان في غزوة الأحزاب حيث اراد ان يتكلم
فخاف من يسمع السر فقال ليمسك كل منكم جليسه فقال من
هذا فقد هذا الصنف ومثال ذلك ان يفعل ما فعل حذيفة بن اليمان
اذ بادر فمسك جليسه قبل ان يسأله فلم ينفع التحرز هـ بمعناه
عم ان حكمة الله تعالى جارية باستمرار هذا الأمر اما على وفق الحكم
التكليفي او الحكم التصرفي والحكمة في ذلك بقاء الرسم ووجود
الواحد من مائة او من الف يحمل العلم وينفع الله به فهذا الواحد
من الخلة المنشودة في تلك المجامع واليه يشار الحديث عن التابع

ويقال

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود Fondation

حكاية بنت الملك التي
كانت تجمع الوردات

ويقال عند ذلك ما فاقت طاعة الرضعات ما ربتنا كان لبعض
الملوك بنت في غاية تكوة بها وكانت ألقت عليها محبة الفقراء
والضعفاء أهل الفاقات وكانت تشتري من بيتها ما تكمله بعضهن بواحد
منهم أو بدلا يكرم وتأخذ قطعة على وجه التبرك فإذا
أوتيت من قطعة أو أن تطرح في بيت بلا سبيل ذلك أغزل فلما
كثرت الرفعات خرج منها غزل كثير وصلح مع الحيكات حتى كسبت
للناس ووصل ذلك إلى الملك أبيها فغضب وأمر بالنار فعلا خرق
وكلما غزلت وامرأة في النار أحرقت ذلك وامرأة بغت لم تؤثر النار
فيها شيئا فعجب الملك لها وعلم أن لها ولما فيها شأنا فلما
رأت البنت ذلك قالت يا أبت لو أخمل هذه الحرفات ما ظهر شأنا التي لم تحرق
غير أن هذه الولاية التي يطمع بها من طلبة العلم ليس مخصوصا
بأن لا يتوصل إليها في الحاضرة بل هو بحسب مشيئة الله تعالى
واختيار المكلف يفعل ما يشاء حيث شاء فكما يخرج أو يفعل
وأبو ماء عزيز حيث شاء وأبو قعدان حيث شاء كذلك له أن يخرج في
العلم والدين حيث شاء هو سبحانه نزل النبوءة في ديار ثمود
وفي قرابة في أعظمهم أجهل وأنزل إليهم صالحا في البلدة العظمى
ظلما ومعنى هوادة غير في زرع وكذلك لم يزل سبحانه يخرج أئمة
العلم من القرى الشاذة والأمكنة المجهولة حتى تستتبع بهم وتشرق
ويجري لها مجرى أن يكن كما قيل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وما عرف الا رجاء الا رجاء تماثيل والاجلال ضلال لزبي عليه

هذا وان اجل التعليم مثل اخر بنية صالحة مع وجود اهلة لانه كمن مطلب ممنو وافضل العبادات وارفع القربات وكان عبد حسنين الا ويتركه بالعرارة فيه في خاصة نفسه كما نقله الامام الغزالي وتعراده انه يقول

ويقال ان الشيخ الامام ابا محمد عبد العزيز التونسي وهو اعمال دراسة الفقه في بلدة تونس ملما الى الحضارة يتولون احكامه والعمالات ذكره وقال هذا بتعليمنا اياهم كتابع الكاح من الشهور وكان ورعا ما ربا والدنيا واهلها وفي رواية اخرى ان العلماء اخذوا عنه الفقه ورجعوا الى بلدانهم فسادوا في قومهم وصاروا قضاة وشهودا ومفتين ثم ان الشيخ عبد العزيز صار في سياحة الى بلاد المغرب فكان كلما ونعوم تلقوه من حسن كلام مشتغلين بالنظر في رعاية المحاسبي وغير ذلك من كتب التصوف ثم انه وقع بمحل بعض تلامذته وقد وقع في مسئلة والربا جميعا فقال سبحان الله فقد صار الفقه لما تنال به الدنيا فجاءهم معرفة الحلال والحرام ورجع الى تدريس الفقه والله اعلم وفي تنبيه هذا الوجه بان يقال طلب العلم مظنة لخير فكان ان التنصوب للشهادة تم جعل مظنة لا وحتى وجب به احترام صاحبه نفعا وما انه زاد محفوظ مع نيفران وينقصه ومنافعا كذلك الطالب يحصر به الكسب

ما نقل عن الشيخ عبد العزيز التونسي

العلم

اجمعوا

ويسعف بمطلوبه فيتأكد التعليم على الإهمال من غير تعطيل
ولا توقف عن الاحتراز مما لم يكن أمر تعيينه تجنبه وبهذا أمر في العمل
في الإعصار على الدوام والاستمرار وقد يقال إن أشراء العلم
يكون كاشتراء المعروف وقد قال قوم في المعروف إنه يتحرى به أهله والا
لم ينفع كما قال

إن الصنيعة لا تكون صنيعة ✽ حتى يصاد بها طريق المصنع

وقال الآخر

ومن يجعل المعروف في غير أهله ✽ يلاقي الذي لاقى مجير أم عامر

وقال آخرون بل يصطنع المعروف على العموم ورووا في هذا حديثا وهو (واخرون)
قوله صلى الله عليه وسلم عش ما شئت فإنك ميت واحبب ما شئت
فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به واصنع المعروف إلى
من هو أهله وإلى من ليس بأهله فإن أصبت أهله فهو أهله وإن
لم تصب أهله فأنت من أهله وقال الشاعر في هذا المعنى

بث الصنائع لا تحفل بموقعها ✽ في من نأى أو دنا ما كنت مقتدرا
فالغيث ليس يبالي حيثما انسكبت ✽ منه الغمائم تربا كان أو حجرا

وإلحاق العلم بالمال في بذل اليسر على التسوية فإن العلم أشرف خطرا
وأعظم قدرا أن يكون منزاح انبهام الحكم على المعلم بملحض الخبر كما أن الواجد
لما أول الإمام حيث علم أو ظن عدم الأهلية لها ويترك يتوافق ما هو
من الشروط والأحكام كما نظر بحسب الاقتضاء إلى الحاط إلى ما

مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود Fondation
© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

26

جرت به العادة العباسية وقد يقال العلم لم يزل عندنا وان يصل
الى غير اهله وقد قيل للامام الجنيد الى متى تنادي على الله فقال
ما فعلت ولكني انادي على الناس بين يدي الله تعالى ولا تهمل
بالتعليم والاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى وقول الكتاب اما علمت ان ملوك
الموحدين وبني مرين كانوا ينقلون العلماء فاقول نعم قد كان من يفعل
ذلك ولكنا نجعل سلطاننا ومولانا نصره الله ما نثني عليه بما يصح ان نجعله بمثابة
حتى يقتدي بملوك البربر من الموحدين وبني مرين ولا يقتدي باسلافه الملا تميمي
القرشيين العمريين ابي بكر وعمر وعثمان وعلي الذين هم اهل الخلافة حقا وهم اصهار
المصطفى صلى الله عليه وسلم بنص الحديث ووجوب الاتباع فقال عليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وقد فتحت البلاد في زمنهم
الشام ومصر وافريقية واليمن والعراق واسلم من اسلم من اهلها وهم في
غاية الجهل والخلو من العلم والمدينة المشرفة مشحونة بالعلماء
المهاجرين والانصار بل ثبت عند بعضهم ان الخلفاء كانوا ينقلون
الاكابر العلماء من بلد الى بلد لينشروا العلم جملة نقلوا عليا وابا
ومعاذا وابا موسى وسلمان وزيد بن ثابت وجابر بن عبد الله وغيرهم
من اهل العلم الى البلاد ليعلموا اهلها احوج الى العلم من عامتنا
اليوم جهلا فكانوا الاكابر الملوك احرص منهم على الخير او اشد اهتماما بامور
الدين وامور المسلمين كلا والله لا تبلغ غبار نعالهم جهدهم اجرهم واجره
والتقي لله بالعزلة يشتكي هواه الى اصحابه مع ما لا يلزمه والله

المسئول

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود
Fondation

المستعان، وأما فعل الولاة للملوك فيكون على ثلاثة أحوال الأول
أن يُنشر أهل الجاه الحبّ ويظهر الجميل والخير فيتلقاه العلماء
ومن أهل الحب منهم والنفوس مجبولة على حب من أحسن إليها
وهم نزل العلماء وغيرهم في نظام دار الإحسان وتيسير
للإعانة على الخير لأنهم يستعينون به على ما هم بصدده فلا
فمثل أن الإمام حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه سار إلى
بلاد المغرب للقاء عبد المؤمن بن علي أول ملوك دولة الموحدين
إذ بلغه عنه أنه كان ينوه به وقاله وجمعته صحبة من تومرت
لأنه تلميذ الغزالي فلما بلغ الإسكندرية أو طرابلس بلغه
موته فرجع إلى بلاده الثاني أن يبعث إلى العلماء بتوجيه
الخير والمحبة لا الإكراه والعلماء في هذا تختلف أحوالهم
فمنهم من يستعف ويأبى ومنهم من يقنع والممتنعون منهم من يعتذر
ولابنه كان يحيى بن ... رضي الله عنهما بأنه استعمله على ... الله وجهه
على البصرة فلما اجتمع في بيت ما لهم المال فرقها بعد أخذه جميعا وجاء
الى مكة فاشترى جواريه واستسرّ منهما فكتب إليه علي في ذلك فلم يلتفت
إليه ووقع بينهما كلام أدى مسالمة عنه أو إلى وكسهما الشوبه بما فعله
ولي ما رزق الا بشير الخاصة وجاء أبدا الموعود وفتح بيوت الأموال
وجعل يبعث تسربا إلى بعضهم وكان صرفها له قبل ذلك في صحبة
العلم فلما لم يقدم عليه كتب إليه مع عباد الكاتب فلما دخل عليه عباد

ثم الغزالي رضي الله عنه سار إلى بلاد المغرب للقاء عبد المؤمن الموحد فبلغه موته فرجع

وجرى مع العابد في المسجد فلما رآه سفيان قام إلى الصلاة فانتظره
حتى فرغ فرمى إليه الكتاب فلم يفتحه وقال لبعض أصحابه اقرأه فإذا فيه
أنذكرنا الله ومنك علينا ونحن على المحبة والصلة التي بيننا إلى آخر كلامه
فقال سفيان لصاحبه اكتب على ظهره فقالوا يا أبا عبد الله نكتب له في
قرطاس نقي فقال اكتبوا على ظهر قرطاسه فإن كان اكتسبه من حلال
فسيلقون وإن كان من حرام لم يبق ضررنا ولم يفسد علينا ديننا فكتب
إلى هارون المغرور الذي سلب حلاوة القرآن واستمر على ملاذ سلوى الدنيا
قال له أنك فتحت بيت مال المسلمين وجعلت تصرفه في شهواتك جهل
أذن لك المهاجرون ومن أذن لك اليتيمى والأرامل إلى غير ذلك مما ذكر
ثم قال أما المحبة فقد قطعناها فلا عهد بيننا ولا محبة ولا تكتب إلينا
بعد هذا فإنك إن فعلت لا نقرأ كتابك ولا نجيبك ودفعه لعباد فلما
رآه عباد الطالقاني خرج إلى السوق ونزع ثيابه ولبس جبة وقلنسوة وكلا
بالأمر من يبلغه للخليفة وتاب إلى الله تعالى وجاء بالكتاب إلى الرشيد
فلما رآه الرشيد صرخ صيحة وقال أفلح الرسول وخاب
المرسل منا وله الكتاب فقرأه وبكى حتى رحمه فقال له الجلساء
قد تجرأ عليك سفيان فلو بعثت إليه وأتيت به فقال اتركوا المغرور من
غره ثم لم يزل كتاب سفيان عند هارون يقرأه الحين بعد الحين ويبكي
ومنه من يعتزز وقد أرسل المعتضد بن عباد إلى ابن العربي الحافظ
ليستفتوه عليه وبعث مع الرسول مائة دينار ليستعين بها الكراء

فلما قدم

فاسمع ابن العربي وكتب مع الرسول

لا تعجبوا لبني كيف شاب لسانه ۞ واعجب لاسود عينيه كيف لم يشب

البحر للروم لا تجري السفين به ۞ الا غررا والبر للعرب

وارسل مثل ذلك الى الامام الحضرمي بالقيروان فاسمع اخلى وكتب مع

الرسول

امر شق ركوب البحر اقطعه ۞ غير لك الخير ما خصصه بذا الالاه

ما انت نوحا فتنجيني سفينته ۞ ولا المسيح انا امشي على الماء

الثالث ان يلزمهم ذلك اكراما او ضعفا وهذا لا يفترق به لانه كلام عارف بالله ورسوله وفي الخبر يقول الله تعالى من اذى لي وليا فقد اذنته بالمحاربة وقال الامام الشاطبي اياكم ان ينكر العلماء العاملون اولياء الله فليس لله ولي وتجري بعض الحكايات للشيخ ابي العباس السبتي قال بتنا معه ليلة في الفندق فارتفعت اصواتنا بالذكر فسمعنا الحراس فجاؤوا الى باب الفندق وقالوا للقيم ما هذه البدعة وما هذه الاصوات اما تعلمون ان من رفع صوته بالليل يقتل وجلس اثنان منهم على الباب يحرسوننا ان اصبحنا فنقتل فاعلمنا بذلك قيم الفندق فدخلنا من ذلك غم عظيم والشيخ ابو العباس يضحك ويمازح ولا يبالي حتى كان وقت السحور فخلا بنفسه ساعة ثم جاء فقال لا خوف عليكم فقد استوهبتكم من الله واجلسا على الباب

كرامة وقعت للشيخ ابي العباس السبتي رضي الله عنه

لكن يفضل غيرا فان قيل له ان من المجازات في الافعال على الحكم
والشر فكيف يفضل من زان ولم يعص الا عما يستوجبان به
الفضل وجزاؤهما ان يرد عليهما ردعونا فقال ابو العباس
العلماء ورثة الانبياء ورب بعض عصيهم لا يقابله منهم الا الفضل
فلم ازل انا زعيم في من اول كلمة الى ان قال فيمضي لاخذ
كل واحد منهما مائة سوط عقوبة فاجتاز بباب ابي عيسى
الخزاز وكان صاحب الشرطة بالجامع الاعظم موجها نوبته
مبتوتا ورأى الحال يصير على قرب منه فلم يتخلف في ابنهما فبعثه
بمال الى جهة القصر فقبل تطويح الحر فقال لنا ابو
العباس احضر واعلم بهما مائة سوط وفي قول الكتاب
كان العلماء الاعلام مع اهل الذي نرفد الذين يحيى وتهم ان يقولوا
بخلق القرآن ع فاقول الذي كان يحمل على القول بخلق القرآن
هو المأمون العباسي ومن تبعه من اخوته وليس ازناده فقد بل
المأمون له مشاركة تامة في العلوم وهو الذي استخرج العلوم
الفلسفية من ايدي العجم الى هذه الامة وقاضيه احمد بن ابي
دؤاد ابعده الله هو القائم بهذه الفتنة بخلق القرآن وليس
معهم في هذه الفتنة ليس بل تسلطوا على الامام احمد بن حنبل
فامتحنوه وامتحنوا غيره ثم اراد الله رفع هذه الفتنة وجاء اخو
المأمون بعث الى الامام احمد ومن معه من الائمة الاعلام ماتني

جماعة من الاكابر لحضوره ذات العمر اجتماعات أولهم الامام احمد

بلم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز
Fondation

بينهم من بغداد في الحديث فلما كانوا ببعض الطريق بلغهم موته
فرجعوا الى بلادهم وعلماء السوء نعوذ بالله منهم وهم
انما يجرون لنار الفتن كم مرة سعوا في هتكه وكم من اولياء الله
ذا مثل شيخ الدين الامام منهم وكيف ارضوا علماء بجانب سواره
ونسبوا اليه رأي الاهواء وكتبوا في ذلك وثيقة وجعلوا نعلا
يتعاطونها بينهم فعوض فيها اشهادهم حتى انتهت الى بعض
من وفقه الله وعصمه فكتب تحت شهادتهم
حسدوا الفتى اذ لم ينالوا سعيه فالقوم اعداء له وخصوم
ثم استمر عليه ذلك الحسد حتى خرج من مصر الى الشام ودخل
ابو الفضل ابن النحوي مدينة فاس حين خرج فارا من سجلماسة
فتسلط عليه القاضي ابن دبوس بالاذاية فلما اطال القوم
على ابن النحوي عزم على الخروج من فاس فبات تلك الليلة التي
يخرج في صبيحتها ويقال انه قعد بها بسجدة واحدة فلما كان اخر
اللهم عليك بابن دبوس فاصبح القاضي ميتا واصبح الشيخ
ابو الفضل خارجا وخرج الطلبة يشيعونه وفيهم ابن القاضي
ولم علم له بموت ابيه فقال له الشيخ ارجع لتحضر جنازة
ابيك ووصوا با الشيخ ابي الحكم بن برجان احد اكابر الصوفية
فبعث الى السلطان بمراكش فبعث اليه فجيء به من الغدوة
وقد نسبوا اليه مقالات فاجاب عن ذلك كله فاطلقه السلطان

شيخ الدين الامام

ابو الفضل النحوي

ابو الحكم بن برجان الهوري

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز Fondation

29

فقال والله لا غششتك وكم عاشرت الشيخ بن جمال رحمه الله
وكم في المنزلة ودخل رجل على الشيخ سيدي علي بن حرزهم وكان
اخذ امه من الكفر فلما فرغ بموته وانه لم يدرك جزعا بعض الهماية
فقال اتشتهي نفسك وتجعل مدا من مائه فقال نعم قال فاخرج
ونم في ازقة من الكفر وانت تقول يقول لكم ابن حرزهم من لم يعرف
جنازة الولي الزاهد العارف ابن الحكم ابن برجان فعليه لعنة
الله وسعوا بالشيخ ابي العباس ابن العريف ايضا الى علي بن
يوسف فامر باشخاصه الى حضرة مراكش فلما بلغها توفي بها
وندم السلطان على ما كان منه اليه وفي رواية ابن القاضي
ان الاشود هو الذي وشى على السلطان فسعى بابن العريف
عنده وخوفه منه لما راه من ظهور امره واقبال الناس عليه فكتب
الى عامله بسبتة باشخاصه الى مراكش فامر به العامل فاودع
في الفارة ليخرج به في البحر الى سبتة فاشار القاضي على العامل
بتكبيله فبعث اليه من يكبله فادركه العامل في البحر وهو — خ رسول
لم يخرج منه بعد وكبله وذهب راجعا الى مدينته في البحر فقال
الشيخ روعنا روعه الله فلقيه العدو في البحر فجعلوه اسيرا
فلما وصل الشيخ الى سبتة لقيه رسول السلطان بالامان
وان تحل قيوده ويسرح فقال الشيخ كنت ازيد ان لا يعرفني
السلطان وقد عرفني الان فلا بد من رؤيته فوصل الى مراكش

فانزل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz Al Saoud

فاقبل عليه السلطان فاكرمه وامر ان يعرض عليه حوائجه
فقال له الشيخ ليس لي حاجة الا ان اخلى واذهب حيث شئت
وان لا يؤذه احد ففعل له ذلك فلما راى القاضي ما حصل له من الاكرام سال
عن احب الطعام اليه فقيل له الباذنجان فصنعه وسمه
واحتال عليه حتى اكله ومات رحمه الله فلما علم السلطان
ما كان من ابن الاسود في جانب الشيخ ابن العريف قال لاعزلنه
ولاسمنه كما فعل بابن العريف فبعثه الى السوس الاقصى
وامر ان يسقى السم هنالك ففعل له ذلك ومات هنالك ومنهم
شيخ الجماعة ابو الحسن الشاذلي رضي الله عنه
بتونس واقبل الخلق عليه وتمكن له ثم حينئذ سعى به
القاضي ابن البراء الى سلطانها وقال له ان رجلا شاذليا قد
نزل الحضرة اشتغل بالبدعة واقبلت عليه العامة فبعث السلطان
اليه واجلس له العلماء فناظروه فوجدوه متمكنا في العلم فلما راى
السلطان ذلك خلى سبيله فلما خرج رجع اليه القاضي وقال له ان
ان لم تعتقله يخرج الغوغاء كلهم فيتبعونه ويتركونك فامر السلطان به
فحبس فارسل الشيخ الى الفقهاء الذين كانوا معه وقال لهم لا تجزعوا فانا نخرج ان
شاء الله ولا بد من غلبنا وسقط ابن السلطان في تلك الليلة ومات
ونزل امر السلطان لم يحضر وكان من المعتقدين للشيخ بالاخاء
وقال انه ولي من اولياء الله فسرحه فلما راى السلطان

قف
ابو الحسن الشاذلي
رضي الله عنه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز
Fondation

ذلك الكلام وبقي اياما بتونس فاكثر عليه القاضي فلما
رءا الشيخ ذلك خرج من تونس لقضاء المقتضى وتوجه الى الديار
المصرية فلما رءا القاضي انه قد نجا من سلطان تونس كتب
فيه رسما الى سلطان مصر يقول ان رجلا بدعيا وقد جاء
الى بلادك فاحذره او نحو هذا الكلام وسبقت الوثيقة الى
سلطان مصر فلما كان الشيخ في بعض الطريق تعلق به بعض
الاعراب من اعمال مصر فشفع فيهم فكلفه عليهم عند
السلطان فلما دخل مصر ذهب الى السلطان فذكر امر
الاعراب فقال له السلطان انت تشفع في الناس ومن
يشفع فيك انت هذه وثيقة قاضي تونس فيك فغضب
الشيخ رضي الله عنه فقال للسلطان انا وانت والقاضي
في قبضة الله فقام منصرفا فرام السلطان النهوض
فلم يستطع فجعل يتوب ويستشفع واسترد الشيخ واستغاثه
وفعل ما وجد ولم يرجع الشيخ على ابن البراء حتى بلغ عرفة
في حجته فقال لاصحابه قد اوذن لي في الدعاء على القاضي
فدعا عليه بطول العمر وان يبتلى بخزية الكلمة والفقر
فبقي ابن البراء على ذلك حتى مات عليه نعوذ بالله من قضاء
السوء وانما ذكرنا هذه القصة ليعلم ان الاولياء من
اهل العلم ومن اهل الطريق يبتلون بشياطين الانس

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

عند اولي الأمر والعاقبة للمتقين فلا يغتر صاحب الأمر
بمن ينصح له بالوقيعة في الناس فانه هو المودي له على التحقيق
والكلام كما قال النابغة

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ¤ لمبلغك الواشي اغش واكذب

وقال آخر

لعمرك ما سب الأمير عدوه ¤ ولكنما سب الأمير المبلغ

وذلك من وجهين احدهما انه يغم عليه قلبه ويكدر عليه العيش وان فيه المداراة التي يتنعم صاحبه كلام اولاهنا ثم تولى عليه السعاة فلا يزال في نكد وغم الثاني انه يوقعه في امور يندم عليها عاجلا واجلا ويفسد قلوب الرعية فان اكثر الناس من ذم السعاة والتحذير منهم ومن ذلك ما قال الاحنف بن قيس ما بال قوم العدو محمود الا منهم وقد قال بعض القدماء لو فتش عن السعاة لم يوجدوا الا لغير رشدة وقال الاخر

فلا تقبلن الا الثقة ¤ فان لكل نصيح نصيبا
واني رأيت غواة الرجال ¤ لا يتركون اديما صحيحا

وقال غيره

فلا تعدل الى الواشين سمعا ¤ فان كلامهم اكثر من كلام
وان الود عندهم نفاق ¤ اذا كانوا وعندهم الحرد لام

فان اكثر الناس في ذم السعاة والتحذير منهم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود
Fondation

وللأقوال إن تسمعنا سائلا ◆ تفهم عن مواقعه السامع
بما انهى المجد المبارك منهم إذا ◆ لما قد سار أن فعلوا وقالوا
فليتك تسمع القولين حتى ◆ تبين بين الحق والخطل

وقال الآخر

لا تسمعن من الحسود نميمة ◆ فكلامه مدرج من البهتان
إن كان قد أوصى إليك فربما ◆ في الناس قد كذبوا على الإنسان
سل نميمة عني لتعلم أنه ◆ واستنكر عليه فيا للجهال رماه
لا ينبت الحق المبين لحاكم ◆ في الشرع حتى ينطق الخصمان

وليس بعد تحريم الله تعالى تحريم قال الله تعالى إن جاءكم فا
سق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم
نادمين وكل من اغتاب الناس فهو فاسق والفاسق لا تقبل شهاد
ته ولذلك لما قال معاوية للأحنف في أمر بلغه عنه فأنكره الأحنف
قال معاوية الثقة بلغني عنك قال الأحنف الثقة لا يبلغ ورفعت
بلاغة إلى أمير المؤمنين السفاح في بعض عماله فكتب عليها
لو كانت نصيحة لم ترد بها ما عند الله ونحن لا نقبل من ذا أزنا على الله
ورفعت أخرى في طريق الصاحب فيها أن رجلا هلك وترك أموالا
جليلة ولم يترك إلا ولدا واحدا لا تصلح له تلك الأموال فوقع
الصاحب فيها الهالك رحمه الله والولد أصلحه الله والمال ثمره الله
والساعي لعنه الله ولما ولي عمر بن عبد العزيز بن عبد الملك دمشق

وكان

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود Fondation du Roi Abdul-Aziz Al Saoud

وكان لبيباً مع حداثة سنه فقال أهل دمشق هذا غلام لا معرفة
له بالأمور وسيسمع منه فتقدم إليه رجل فقال أصلح الله الأمير
عندي نصيحة فقال ليت شعري ما هذه النصيحة التي ابتدأتني بها من
غير يد سبقت مني إليك قال جار لي عاص وكذا وكذا فقال ما اتقيت
الله ولا أكرمت أميرك ولا حفظت جارك إن شئت نظرنا فيما تقول
فإن كنت صادقاً لم ينفعك ذلك عندي وإن كنت كاذباً عاقبناك
وإن شئت أقلناك فقال أقلني قال اذهب حيث شئت لا صحبك الله
ثم نهاهم عن السعاية وذمها غاية وقال فلا يأتيني أحد
منكم بسعاية على أحد بشيء فإن الصادق فيها فاسق والكاذب
بهات ومن أحسن ما فعل بهذا الجنس الخبيث ما روي أن أمير
المؤمنين أحمد القادر بالله كان يمشي ليلة في أسواق بغداد فسمع
شخصاً يقول لآخر قد طالت علينا دولة هذا المشؤوم وليس لأحد
عنده رزق فأمر به فأخذ فلما أحضر بين يديه سأله عن صنعته فقال
إنه من السعاة الذين يستعين بهم أرباب الأمر في تعرف
أحوال الناس وإنه منذ ولي أمير المؤمنين أقصانا واستغنى عنا
وتعطلت معيشتنا فقال له أتعرف في بغداد من السعاة قال نعم
فأمر بكتب أسمائهم وأجرى لهم رزقاً معلوماً وبعثهم إلى الثغور
يكونون هنالك عيوناً على الكفار ثم التفت إلى من حوله فقال
اعلموا أن هؤلاء قوم ركب الله فيهم شراً وملأ قلوبهم حقداً على

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

العالم ولا بد من ابتداع فتنة لهذا النمط والأولى ان يكون ذلك في
امر الله ولا نقصد بهم على المسلمين. وقد اتفق مثل هذا
للملك الناصر رحمه الله فانتهى ان ناسا الى وزيره فاستدعاه اليه
في الابلاغ فوقع ذكرهم بالقبيح الى السلطان فبلغ الوزير الأمر فقال
له السلطان علي بالرجل فادخله اليه فقال له هل تعرف في
القاهرة من هو على رأيك من هذه الأحوال فقال نعم جماعة
وعدهم فقال السلطان للوزير احتفل بهذا الوزير حتى يحضر
كل من ذكر وعرفت بهم فلما اجتمعوا قال افرغ في هذه الساعة
وجوه الجميع الى اقفهم ولا تدع احدا منهم بالقاهرة فان هؤلاء
منافسون فتعلمهم اجمعين. ورفع ذلك الى ياسين في رقعة شاع غرضه
قبول السعاية ثم امنته لان السعاية دلالة والقبول اجازة
فلا تقبل الساعي فانه ان كان في سعايته صادقا فقد كان في صدقه —
لئيما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة. وقال رجل للمهدي عندي
لك نصيحة يا امير المؤمنين فقال المهدي ليس الساعي باعظم عورة
ولا اقبح حالا ممن قبل سعايته ولا تخلو من ان تكون حاسد نعمة
فلا يشفى غيظك او عدوا فلا نعاقب لك عدوك ثم اقبل على
الناس فقال لا ينصح لنا ناصح الا بما فيه رضى الله وللمسلمين فيه
صلاح فانما لنا الأبدان وليس لنا القلوب ومن استتر لم نكشفه
ومن نصح قبلنا توبته ومن اخطأ اقلنا عثرته اذ رأيت التأديب

الرجل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود
Fondation

بالعفو ابلغ منه بالعقوبة والاستقامة مع العفو اكثر منها
مع المعاجلة والعقوبة لا تبغ لو ان لا ينتقص اذا استعطف
ولا يعفو اذا قدر ولا يغفر اذا ظفر ولا يرحم اذا استرحم وهذا
اجتناب لا يسلم منه الا رجلان فتى الدين كريم السجية واسع
الصدر لا ينفع له بالاستناد كما قال المعتمد بن عباد يخاطب
الذين وشوا اليه بابني زيدون

كذبتم فما كم صرحوا وجمحوا ... ابن عمي اعلى والسجية اكرم
الا دتم تصيبوه من بعده ... والسيف في نغر الصدور تكلم
ورمتم بحالكم تجربة ... فلا الاية للجمال فيهم
لقد جئتم عذرا وجريتم ... فمنه الوفاء وجوركم ايكلم
انوذ الكم لا التفو ثم غرسة ... عنه ولا في النصيحة تكلم

ورجل حازم يقطع مواد ذوي البغي اما بفعل الخير عن التكرم
او بالكمال عقوبة تردعهم وقد كان صلى الله عليه وسلم
يرحم ويكرم مع كرم خلقه وكمال عصمته يتحاكم عن ذلك فيقول
لا يبلغني احد منكم عن احد شيئا فاني احب ان اخرج
اليكم وانا سليم الصدر والخاطر او كما قال صلى الله عليه وسلم
وقول الكتاب نحن معلمون موحدون اقول اعلم ان ابما
زدنا نحمد الله عليه ونقول له ويطلب الدنيا او ينقص منها
اسهل والسهل من لو ابتلي انه سيري من ارحمهم في بينهم

ليتركوه أو ليبدلوه ولله الخير والمنة على هذا وقول الكتاب
أما يكفيهم كلام تعيشهم به أو فيما تفسد زكاتهم فالقول
أما أعلام من يرضى به ويتركه وهم الإسلام والسنة المعتمد عليهم
للجزية وأما من يعرف شيئا استحق الزكاة لو كان أو أمر في شيء إذا
يكفلوه وأما المسألة فما يلزمهم إن أرادوا أن يتفرغ للعلم
فإن اشتغل بالخروج إلى الفضائل طلب العلم وجلب النفقة
تترك أول الخير لأعوانه يكفونه ذلك لم يتم فلا يحصلون بواجب
حقهم فإذا حصل في إناء وبين حصلت معهم صحيحات والزرع
فلم يتركه كيف وقول الكتاب وهل يستفتونهم وأنت في البادية
فالقول أما أهل البادية فلا يكلمون غيرهم وأما أهل
الحاضرة فعندهم فلا تكلفهم ومن احتاج إلى تعلم ما ليس وقد
فرض الله الشرع عليه فيكلف طالب العلم أن يرحل إلى الحاضرة
بل يكفي حيث أمكنه والله تعالى أمر الجاهل أن يسألوا أهل العلم
فقال فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون فإن لم يسألوا فلا حجة
عليهم إلا على وقوله فما يستحق أمر والنائب فالقول
حكم على الغيب لا يكون إلا بعد النظر ومعرفة أن الأمر كذا ومن
يحكم إليه ليس كذلك فإن أهل البادية يستفتون وأهل الحا
ضرة أيضا ما ليس في علمه تبين وقول الكتاب لوجود شيء في القول
هذه كلها أمور مفترقة في العقل والأمر في الخارج مختلف

يكفيه لو

ولما

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

ذلك ولو كانت العامة يتبصرون فيمن يستفتون لكان الناس بخير
ولكنهم الهمج الرعاع لكل ناعق اتباع يتبادرون شذاذا بأفواه
من الافواه لا يحسنون الوضوء فيتخذونه اماما راتبا ويترافعون اليه
في الخصومات وما يستفتونه في النوازل التي تحار فيها العلماء
وذلك تارة غفلة منهم لا تبالي بامور الدين وتارة اعتقادا ان كل من يقرا
يعرف ما يحتاجون ثم يستحيي ان يقول لا ادري فيفتي او يحكم بغير
علم فيضل ويضل نعوذ بالله من الفتن وهذه الحالة اكثر اهل
العمود فامثال هؤلاء كيف يتوقفون علي ويقولون لو كان
عالما لكان في القاضية وهم يعرفون ويعرفون هؤلاء المتعلمين
والمستفتين حولي من شباب البلد ورحم الله امير المؤمنين عليا
كرم الله وجهه حين رجع من صفين ووقع التحكيم قال لبعض
خواصه ما يقول الناس قال يقولون علي شجاع ولكن لا معرفة
له بالحرب فقال لله درهم ومن هو اعرف بها مني فقد خضت
فيها وانا ابن عشرين سنة ولكن لا راي لمن لا يطاع فانا ايضا
بحمد الله كان هؤلاء وغيرهم يسئلوني وانا ابن عشرين سنة
فبعد ملاح الشيب بعارضي يستغنون عني العلم بكوني لم اكن
في القاضية لقد كنا نحمد ايام كنا بفاس مما بلغنا عنهم وذلك
انهم بحمد الله والتحدث بالنعم شكرا رأوا ما بهر عقولهم علما
وفهما وفصاحة فكانوا يقولون زين الرجل برباه ان تكلم

خ ل
من الاعتبار

ما كان بلغه عن اهل
فاس حين كان يقرأ بها

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود
Fondation

34

وتكلم بلسان أهل الغلظة وكان يبلغنا عن بعض المحققين منهم
أنهم يقولون ما طاقة شيء إلا أنه لم يغو أبعا سر وهذا كلام جاهل
لا يعرف حكمة الله ومشيئته الباهرة وأنه يحكم في من يشاء
ما يشاء ويدع ما يشاء أي موضع شاء ولا يسأل عما يفعل وما
أشبه هذا عند هؤلاء بما عند اليهود حيث أنكروا نبوة نبينا صلى
الله عليه وسلم إذ لم يكن من العرب ولا من بني إسرائيل. اعلم
أني إنما سمعت الذي عندنا بالذي عنده لا شك الكلام في الجمل وتجسيم
رحمت الله أوسع فلا يذهب هذا إلى إني أريد محاكات نعيمي
بجنات النبوة. ومثل هذا ما ذكره الشيخ أبو العباس المرسي رضي
الله عنه وتشبيه المنكرين للأولياء زمانهم مع تصريحهم بمن
مضى باليهود في إنكار نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم لكونه
في زمنهم وقد صدقوا بمن مضى من الأنبياء وهو تشبيه صحيح
ولا يلزم منه تشابه الولي بالنبي ولا يقال إنه لا تشبه المسلمين باليهود
لأنا نقول لا يجب منه بأن المسلمين أشباها باليهود وبالنصارى وبالمجوس
وبالشيعة حيث كانوا أشباها بالمكلفة. ومن رأيت في كلام الشيخ تشبيههم
باليهود وقال في محل آخر رأيته من بعض أهل هذا الزمان مستغنيا بالسماع
إلا الله لا أقوال الكلمة جميعهم عندي يهود به بأن الله تعالى يقول في
اليهود سماعون للكذب أكالون للسحت وقول الكاتب
أو يقولوا ليس علم الجن لهم وإنما هو يختلي به الزنا لا فقول منزعجة

مغلوبة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

مغلوبة فإن الذي يغني من أبواب الملوك بل من العوام كلها التي هي
محل المرتبات هو الذي يكرانه فيقال انه يطلب الدنيا فإن تلك الجهة
منها يكون للعالم سبق ويكون له نفع وأما البادية فلا ويقال ان يوجد
في تلك الجهة عالم يتعاطى لله تعالى ورب عالم في الفرق يعلم ويبتغي
لله تعالى ويطعم طلبته وربما كساهم ولا يبتغي على ذلك جزاء ولا
شكورا إلا من الله تعالى ويجري مرتبه كما يجري الناس ويعيش كما
يعيشون بهذه التجارة الرابحة وقول الكتاب إذ لا سلامة من
الخلق أقول هذا هو الحق فالواجب على الإنسان أن يكب على
ما فيه صلاح دينه ودنياه ويلغي النظر على الخلق فإن رضاهم
غاية لا تدرك وطالب ما لا يدرك لا عقل له والسلامة من جانبه
متعذرة ويكفي في ذلك قصة لقمان الذي شهر الله تعالى بالحكمة
وذلك أنه أراد أن يري ابنه هذه المسألة فأخرجه إلى السوق
ومعهم حمار فجعلا يسوقانه فقال الناس اثنان يمشيان والحمار
يمشي بكمهما فقال له اركب فقالوا شيخ يمشي على رجليه وابنه
راكب فقال له انزل وركب هو فقالوا رجل ركب وابنه صغير يتبعه
فقال له اركب معي فقالوا اثنان على حمار هذا جور وإنما فعل ذلك
ليري ابنه أن السلامة منهم لا تكون فيقصد الإنسان إلى ما هو
اللائق بفعله وأنا كذلك أنا أفعل ما أمكنني في الوقت ولا
أبالي فإن كنت في الفرق فلا أخلو ممن يقول لو كان في المدينة لكان

قف
لا سلامة من الخلق وقصة
تشير لقمان الحكيم مع ابنه في
المعنى

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

لذو كان ولو دخلت المدينة وسكنت في حجم كحجم الضب فاذا دخلت
تراجعت انا والنساء الاجنبيات بالاكتاف وان دعاني من يسأل عن
مسألة او يشفق لو ما جلست معه في الكرسي فيقبل بالكم بالسلام
فحينئذ نهض انقلب متحيرا وعسى ان يكون الوقت قهوة فنجدها
كلها مغلقة فاذا سافرنا الى خارج البلدة واتاه بعض الاخوان بعثه عني بلا
قضاء حاجة فلا بد ان يقول انا اتوجه الى هذا الضيق وان جاء
ضيفان بعثه وقلت كم منون وان خرجنا من ذلك افتقدنا ان نتمكن.
البخل في قلبي وقال ليس على الفقيه من ضيافة وحينئذ اعجب من
كونهم نقل ما تحمله الكرام واخذه في سلطان الظلم نعوذ بالله
من الاغتنام بالصمت رجلا من اهل الحاضرة رأيت له جفاء
فقلت ما الذي اوجب تقصيركم في الضيافة فقال لو لم يكن الا تعذر
منزل الضيف لكان كافيا فقلت والكريم يعكس الحال ان تعذر
الانزال فلو كان لكم كرم لكنتم في السوق باعكم في الفلوس فقال لما
كان الضيق نسي الضيف فاستمر الحال حتى عم البخل في الطعام وغيره
فقلت له عرفت فهذا من اعظم عيوب الحاضرة واما السلطان
فلا سلامة له ايضا فان كلفني الحاضرة وانزلني اليه فقرا قال
الناس فلا كلمة وتعزى عليه وهيهات كان العلماء يحترمون ويكرمون
واليوم يكلمون وان تكبر معا قال قائل لو كان عنده من الاحسان
والعطايا ما عند من قبله لاجتمع عليه العلماء فالذي تحرم من القول

ان يبسط

ان يسلك الخير وينبذ ثلاثية العلماء صوعقا ويتخلف منهم فلا
عيب به وقول الكتاب او ما تعرف الا ان تتورع وتقول عن اكل
الحرام الى قوله وان يفرق بين ما تعطيه وما يعطيه اخونا الرشيد اقول
ما ذكرت لا غير فلا انبي لتتورع ولا ابى لا اكل الحرام فلو تقلد
احد شيئا يخرج تراث وان كان كله فما والله تعالى يقول ان بعض الاثم
والفرق بين ما يعطى السلطان وما يعطيه مولانا الرشيد ان ذلك موجود
وهذا غير موجود او فرق بينهما غير ذلك والاجتني اعطانا السلطان
الذي عطا ابر وددناه عليه وقلنا لا انا كل الحرام نعم كنت في ابا وصل
مقصوبا والمقصوب لا اشترط وجه ذلك انك انا اخذ الجد شابا في
وجهة مؤيلا على التدريس وكنت في المرتبة لا حرث ولا معاش وجاز ان
احفظ في بيت المال بالاجر لله على اكون النفع مع وجود الحاجة
والعمر فقد جاء الضعف وتوالا الامراض وجب الحاجة حين ذكرت
البادية فانا نكتفي بالمسور مغيرة اليوم فمن هو في الحاجة اشد
حاجة واولى بالعطاء وقول الكتاب او موضع تقطع السبل وتنهب فيه القوافل الا الغلال الموالحر
اقول اما رعية السلطان فليس فيهم من يجمع بين الا ان اسم
ان اهل هذا البلد ولا هي ملويه واما انقطاع الطريق فانه لا يزال في
ايدي على وذلك ذنبه اني من قديم الزمان فقد شد احر بها فهي
اخر وما ذكرت لا فيك ولا دخلوا في الطاعة فخوا غيرهم
ولا يخافون عن تارة على التمر وتارة على الزرع وسد ابا يعارية

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

في كل ارض من هنا الى درعة لان هذه الارض حرثها وما تحركوا منها حتى
فضوا الغرض في الصحراء فقتلوا الدعوة او كادوا ولا يخاف فارس
النخل واستباحوا تلك البلاد كلها كما بلغكم فلا يسأل واهل
فكر وكم اغناء نفسنا لاهل الرتب وغيرهم وكم فاعلة وكم من تخويف اأ غـرَ
قتيل واما هذه البلاد فلا يتحركوا فيها الا نحو ثلاثة او اثنين
او اربع في ناحية هذه القبيلات الضعاف الذين يتبعون قافلة
بنفعة ولا نجدة ايام كذلك لهم الغدرة والخيل فقليل اليوم
وهم عن الجحافل ولا طاقة لهم على دفاع ولا على امتناع وليس
هؤلاء الذين يحاربون كالسباع فان السبع يحتمل الماشية في الغابة
فجعلها ضيعة فاذا احست الضيعة بهم ولا ترى فلا سبيل لها تنفق
الرجاء لتأكل امواتها وتعتق سرجالها وانما هؤلاء يتقون
بالعساكر ويتنزلون للقهر والضرب ولو كانوا يتحركون نهارا
لامكن للناس قتلهم ولكن يكمنون في قنة الجبل حيث لا يقع
عليهم راع ولا صياد فاذا الليل نزلوا فلم يفرقوا الدوار او اكثر
لا يحتمنونهم نصبا وقتلا فان الزوار تكون فيهم اربعون رجلا هي
ضعيف وشيخ منهم بلا سلاح وهؤلاء ياتون بالستير والشعبي
واكثر واقل كلهم رجال يغيرون في الصوب ويتضاعفون بالرعب
فهذه القبائل تبقى في حيرة عظيمة لا تدري اين يحزبوا ويجلوا عن
بلادهم فلا طمعوا ولا ضاعت المصالح السلطانية ثم لا يتركون لذلك

وان

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وان يقفوا مع ما يفعلون وامع هاوكد والظالم هزئة لان امر ما انكم الخزان
ذلك وسعوا بهم الى السلطان وانهم اتفقوا مع البغاة بيلام
بعفو بتهم وان يقفوا بلا شك. اهلكهم اللصوص يتمسون لكل ليلة دوارا
بلا بد للسلطان ان ينظر في امرهم كيف يصلح بالهم عيشة وبهذا الكلام في مدخل
لنافيه والغاية انا حيث ان في الكتاب تبصرة ونصحا للسلطان ورفقا
للرعية والله المستعان وأما قول الكتاب من ان العادة الجارية ان قوله
في البربر لا يجاوز ايمانهم اقول هذا من بعض معنى الحديث الذي في الصحيح وانه
يأتي في اخر الزمان قوم حدثاء الاسنان سفهاء الاحلام الخ · ترافقهم
السلف والخلف فيما علمنا على ان الحديث خرج في الخوارج ولم يعم ومنهم
الذين خرجوا على علي كرم الله وجهه يوم التحكيم وكان منهم القراء
والصوفية وسائر العمال واستمرت فتنتهم الى ان انحسمت في خلافة
عبد الملك بن مروان على يد المهلب بن ابي صفرة واولاده كلهم عرب وليس فيهم
بربري واحد ولا يجوز التحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير سند معتبر
وقول الكتاب فالاولى ترك ما لا ادري اقول نعم نعوذ بالله في الظلم واذا كان
يعلمه الله فان ايات الله تعالى لم يعطف نسبه فان نسب الانسان
ضيفه وحسبه دينه الخ بنو ادم وعاد من تراب ان اكرمكم عند الله
اتقاكم · الى حرمة الذي ركبت عروقه · وهذا اللوت يسلبني ثيابه
وان ابن الفقر والهوى · والجبن والعجلة في الناس فيه معاده وقد يوجد
جري الهوى بعض العجم ما لا يوجد عند العرب اليوم والتجربة فاصية

ح ترافقهم

لا يجوز التحدث عن النبي صلى الله عليه بغير سند معتبر

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود
Fondation

37

بذلك وعين الرضا عن كل عيب كليلة • ولكن عين السخط تبدي المساويا

فبالله لو لم تكن الأعراب العربية ساكنة في جبال الخيل والنجم من

ورائها أهل تدعو ذلك الادعاء وفرعوا حيلتها ولا سيما عند

استيفاء الزوال فكم من عاشقوا وكم من في أم أغتلوا وأما الى

فانها يعتز وانا احيانا بالجبال كما يعتز أبا المعامه

فالعز منه مع الكرى مجاورة • والهم مع مجاورة منه مع التحمل

ولم تزل الجبال محافل ليلا يريد بها العجم فالأعراب

اعرواعر الناقة الحمراء ارحلكم • والجبل الاصب المصنوع ما صنعوا. وقال النا

بغة وحلنا بيوتنا بقلاع ممنع • تخال به راعي الحمولة طائرا الى الامثال

حذار على ان لا تنال مقادة • ولا نسوة حتى يمتن حرائرا

وقال امرؤ القيس

كأني إذ نزلت على المعلى • نزلت على البواذخ من شمام

فما ملك العراق على المعلى • بمقتدر ولا الملك الشآمي

أقر حشى امرئ القيس بن حجر • بنو تيم مصابيح الظلام

وقال ابن الزبير الأشيري

تجهم فلما ان تزور ابن غابة • عميرا وأملاه تزور المهلب

هما اختلفا شيعا غار لعشما • ركوبا حوليا من الثلج اشهب

وقال البستي

إذا ان تشلم العلم فارفعها • بمن شاء فلينهض لها من مقاتل

واول

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

واول ما كتب في هذه الامة العربية بانهم بعد ما سمعوا الوفاة النبي
صلى الله عليه وسلم ارتدوا ومنعوا الزكاة وهذا مع النبي صلى
الله عليه وسلم وخليفته الذي تطلع الشمس ولا غربت بعد الانبياء ورجوه
على مثله فكيف بغيرهما • ولا اقول هذا احتضاما للعرب وتنقيصا لهم
كلا بل الناس كلهم في هذا المعنى ابناء جميع وامرهم رحمة للعالمين
القائل بالعدل والعفو والبر ولا يسئلكم اموالكم ان يسئلكموها
فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم فكل من سال الناس اموالهم بالقهر
لا بد ان يبغضوه وان كان يعطيهم فلا بد من التكبر ان يقولوا كما قال
زهير ومن لم يزل يستحمل الناس نفسه • ولا يغنها يوما من الدهر يسام
غيره ولو سيل الناس التراب لاوشكوا • اذا قيل هاتوا ان يملوا ويمنعوا
والملوك لا ينبغي ان يهملوا هذا الامر بل ينبغي ان يكونوا اغنى
الناس به فيعذرون الناس ويكتفون منهم بالطاعة التامة
كما تقدم في كلام المصنف ولا يكلفونهم المحبة والادعاء الباطني
لان هذا الامر ليس في طوقهم والله تعالى الذي هو ملك الملوك وله
نحو الطاعة والعبادة • وهو العليم بذات الصدور لم يكلفنا
ما لا نطيق قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها
ولم يكلفنا ان نجعل طاعة بطريق المحبة بل ايثار منادات قلبي ولا ان
نحوم ان نخرج محبة بل من بعد ذلك من المحبة كان من الفضل بروحي جا
هد نفسه وان جمعها خوفا من الله تعالى فالله تعالى يثيبه ويدخله الجنة

مجبولون على الشاخ لمن يحكم عليهم او يغصب هم او يطلب منهم دنياهم ومن رزقه الله تعالى في نفسه الزهد

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز Fondation

38

محبة منه مع الكلام عن ما في قلبه وانه لم يعبد الله خوفا من النار
وطمعا في الجنة فكيف يذكر العبدان يكلف عبدا مثله فلا يكفيه
والمحبة حتى انه يذكر العوام المثل الاقوى بين يدي الملوك فانهم
يقولون فلان يخدمك يا مولاي وفلان يخدمون ذوو املاك لولا
السيف لم يخدموا وذوو املاك لولا ما يكفيهم وكذا لم يخدموا وذووا
فلان منهم المحبون المخلصون يخدمونك يا مولاي لكن هذا جميعه كلها
زخارف والقول يتحمل منه العقل وعقلاء الملوك لا يلتفتون الى
مثل هذا التعريف بل يحققون الذي في رءاستهم انما يخدمون
الملوك خوفا او طمعا وذلك الخوف يخفى عن المحبة بل سوكه
اقوى ولذلك لما سجن الحجاج الفقيه وكان من البلغاء قال
الحجاج ذات يوم اليوم يكذب الفقيه علي به فلما خرج من
السجن فلما امر صاحب الحبس فقال له قد سمعت يا فقيه فقال
الفقيه الرفيق ويكذب ضعيف الامر يجيء ثم قال له اتحبني يا
فقيه وقد وقر الحجاج في فكرة انه يقول نعم فيكون مكذبا فقال
الفقيه اني او فاخرهم وحبيب زيد انه لا يخلو الحال من ان اجابه
او اوفى الى اعلاه منه والخوف خير وحبيب والتي بلا ولا جابية
معرفة انه لا يخلو عن واحد ولا من والمشاكل تركها والعوة
منه خير وحبيب ولذا قيل في المثل يعنون خير وتحمون فلو
جمع المشاكل امر بما يقتضي بغضا وتبع بما بل الركة اوه

قصة الحجاج مع
الفقيه احمد بجنه

بعض

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

بفعل ذلك او رجع اليه ذلك فلا ينبغي ان يعاقبه لانه يعلم
ان الناس كلهم او جلهم كذلك نعم وان علي ذلك او اجتمع في النا
س من يستحق الناس منه فيحبونه ومن يكرهونه للحب رغبة ورهبة
فلا يزال فيهم ولا امرتهم ولا تاديبهم ولا تملقهم على المحبة المطلوبة
كما لا يزال البغض والتجافي على طلبهما بل ولا رأيت لاجل الحا
جة وهو لم يرغب لغيرهما والله الموفق ومن اراد محبة الحسن
ايضا التحري وقول الكتاب وعن علماء الفضلاء ما ليس ومن يتق التروي
العلم فاشتد عليه يعادي فـــول المشتري كذلك
وقع والغالب صوفيه الشعل والفال يكذبونه فلا ينبغي للمتكلم
ولا سيما في مجالس اولي الالباب بعد التثبت وفي التحري حسب
الجهل والكذب ان يحدث بكل ما سمع او كما قال صلى الله
عليه وسلم انما هو ربما القضية انه وقع تشاجر بين القاضي
والمفتي بين يديه مجلسهما وانا غائب عن ذلك المجلس فلما
وقع في ذلك تكلم في شاني واستشار الحاضرين من افاضل
المفتين والقضاة فقال الحاضرون كتبتم عبد الملك الحا فلا
القضاء فلا يفعله بوجه ولا بحال وان قال المفتون فليس فيه
مضرة انما هو زيادة علم فلما حضرت والغرض ما كتبني بكلام
لطيف وقال يا فلان هل تقوم لنا بحضرة المفتين فلا عذرت

الناس فليزرعها فيهم
بالفضل والاحسان كما
قال تعالى وفي جبلت القلوب
على حب من احسن

12

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

لنا بنوازل هذا الفن برأسي تمتحني وكثرة الشيوخ والمطالعة
ملأ فسيحا ولم يزد ولم أجد له إلى التدريس بعلم لم يلزم فإن
كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل شرط الله أحق وأوثق
وما يذكر عن بعض الفقهاء وأن جميع فروض الكفاية تتعين
بتعيين الإمام لا يصح التعلق به في هذا المحل لوجهين أحدهما
أن ذلك مشروط بالصلاحية والإمكان كما هو شأن التكاليف
والإمكان في مسألتنا أن يكون المدرس مكفي المؤونة من بيت المال مسكنا
ومأكلا ومشربا وملبسا وغير ذلك في نفسه وفيمن تعلق به ليتأتى
تفرغه للنظر والإملاء وهذا كان شيء منه في حياة السلطان المذكور
فلما مات انقطع البتة الثاني أن ينظر أي شيء هنا هو من
الكفاية فإن القيام بالعلم الذي هو مطلوب في الجملة إما أن يكون
بمجرد الإخبار بالأحكام الشرعية وهو الفتوى فقد قام به المنصوب
للفتوى وإما أن يكون الإخبار بها على وجه الإلزام وهو
القضاء فقد قام به القضاة وتبقى صورتان إحداهما نقل العلم
وتحريره لينقل ولا ينقطع الثانية تفهيم قواعده ومسائله
والتخلص عن إشكال المشكل وغير ذلك على قدر الطاقة وكلتاهما
تحصل بالتدريس المعهود وبالسؤال والجواب وبالتصنيف فلا
يتعين التدريس المعهود في الكفاية بل هو واحد من أشياء لا بعينه

فتعين

وأثر كلمه على جامر في غيرها
وإسمعي كلمة موحشة على أنه لو
ترك التدريس بعامر

ما يذكر أن جميع فروض الكفاية
تتعين بتعيين الإمام لا يصح

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود - الدار البيضاء
Fondation

فتعيينه بالشرعية شركه بالجهل وقد علم من احوال الامية كما
ذكرنا في غير هذا المحل ان منهم من كان دأبه الاشتغال بالتصنيف
دون التدريس وعلم في عصر الصحابة انه لم يكن هذا التدريس
المعهود ولا التاليف وانما هو السؤال والجواب والخطبة
والموعظة ونحو ذلك من ضروب الارشاد ثم مع هذا كله
التغيير بالمحل المخصوص ليس داخلا في مفهوم الغرض قطعا فان
المراد مثلا ان كل قطر يشق الوصول منه الى غيره كقطر المغرب مثلا
لابد ان يكون فيه من يقوم بهذا الشأن ويسكن في اي موضع كان اما في
مصر او قرية او بادية عمودا او جزيرة في البحر فمن اراد من اهل البدو
اراد ان يعرف ذلك في الحضر او في موضع اخر مثلا فقد اخطأ وان تركه
فترحب بالجهل ولا يستحيي في مسألة فانه لا يشتغل بذلك الا من هو من
الناس ومنها تضرب الاباد للابل الى المنتصب للفتوى العامة في
الاحكام الشرعية بالافضل ان يكون بين ظهرانيهم بحيث يصل اليه
المتكلم والضعيف والشيخ الهرم والعجوز وهو من باب الامر بالاحسان
بالناس وهو محبوب شرعا مع الامكان وكذا العالم على الجملة ينبغي
ان يكون كذلك مع الامكان ولا عجب ولا يخص ذلك بالحاضرة فان
اهل البادية احوج فالاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود
ما انزل الله على رسوله فالاعتناء بهم اهم وان منهم من يكون التعليم

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

45

في حقه كان تبليغ الدعوة من اهلها فيعظم اجر القايم به
وبالجملة فالحاضرة لا تتعين للاقراء في حق صاحب الفتيا ولا صاحب
التدريس اما الاول فلتعلق عامة الناس به لا اهل الحاضرة فقط
واما الثاني فكذلك وان روعي ان المشتغلين به في الحاضرة بحسب
العادة اكثر فلا يخفى ان شان العالم الجاهلة فقل ان يطمع به
من لم يحل اليه والله المستعان   وجوب التعليم على
العالم على ما ذكر الشيخ ابو حامد في الاحياء من انه يجب على
العالم ان يعلم من حوله ثم يشتغل الى من وراءهم وهكذا حتى
لا يبقى على وجه الارض جاهل بدينه فهذا امر متعذر متعطل
كما تعطلت امور دينية لتعذر اسبابها وما الذي له اهلا
فله اشتغل به ولقد ذاكرت بعض اشياخنا رحمهم الله فجنح
الى الاعتذار لتعذر ذلك وعدم الاستطاعة حتى في القوت
فان العالم يحتاج الى كفاية تكون معه وان تعلق بالناس
موقع في كلفة او شبهة وانا اقول لئن تعذر من كل جهة
فانه لو اشتغل به احد اليوم لاتهمه اهل الرياسة بطلب
الدنيا وطلب الظهور فيؤذى ومن دونه بكل عظيمة وقد رايت
طالب العلم يبتلى منهم بالاذاية ويوجه السوء في بيته على مجرد
حضوره بمسالة او يشاور له في دينه فكيف لو خرج الى القبايل

وجعل

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

وجعل يستغرق الغزو والقبائل وكابر اذ ذاك الدولة يحكم ويعـ
ويبخل ويكرم وذا الحد مكملون ثم غاصلات وعليه جل الغزاة
بجموعه الدولة والموالي مخدوم وكانت المكافات لازمة فقد قال صلى
الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه واثر معروف
افضل من قابلة يعرف بها ربه او يقرب بها والجنة او يبعد
بها من النار فلو خدم بعض الدنيا فلا اقل شيئا من حقه فلذا
الكرم واتبع فكيف يكون حاله وابناء الدنيا الغالب عليها
اشد من غيرة النساء على الرجال والرجال على النساء الكفلا
نين بكل اهل فاء قلوبهم من حب الدنيا والكرم لفاتحهم
فلا يكون بعض ذلك احيانا بمعونة اهل الله والمشيخين التي
الخيم او غيرهم واهل الدين كعبد الله بن مسعود حين
بعثه امير المؤمنين عمر رضي الله عنهما الى اهل العراق
وكلسان الدين القاضي ابي بكر الباقلاني حين بعثه ملك
وقته الى الروم ليناظرهم وكالفقيه عبد الله بن ياسين
حين بعثه شيخه واجاج بن زلو عن اشارة شيخه ابي
عمران الفاسي الى اعراب الصحراء فعلمهم ونفعهم الله فخرجوا
من الجهل انجعوله وضياع الدين فصاروا اهمتهم من مجتهدين
وابكين مجاهدين حماة الاسلام واهله وهذا البقا كله
انما غير مختص بالخواص بل يعم العوام او كرما منه

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

61

وأما الخواص فهي غالبا مستطيعة من ذلك وطلبة العلم ولا يغلوا
غالبا عن ذلك والله المستعان. وأما قول الكاتب نصره الله
وشرح له الصدر فأقول أنا الآن أقول عن أولئك الطلبة كذا
أعرفه وأما السلطان فهو يرى أيده الله ونصره غيره بمن شاء
فعل بي وفي غيري ما علا كان أو غيره أن يسوبه القضاء وأما
أنا الآن وجدت نصره الله لم أجد الآن شيئا من عند أقوال الله ولا أعلم
أحدا بيده ثابتا عند السلطان فطالبني بإقامته علي ولا جناية
على أحد في مال ولا في نفس ولا أنا عند أحد ولا أدري ولا أظن بعد منه
في السلطان ولا عامل فيفر على مسألة الجباية فمعنى أن شيء
يطالبني السلطان نصره الله أما الآن علي حجة لي أو علي
عند الله تعالى بالعلم والذي الله تعالى في التعليم اشتغلت جميع
كافته ولو لم أشتغل فيه أكثر الفنون فيه كانه كعادتي لا أوفي
عني فأي شيء ثبت علي من حقوق المسلمين حتى أطالب
فيه وقد أعتق فيه على نفسي بطاعة السلطان وفعلت
ذلك مع أمير المسلمين لم أنازع ولم أخالف ولم أحارب ولم أخالف
ومنذ الغدر فهو المطلوب من الطاعة إلا ما خرج عن
ذلك كخروج أحد عن داره أو بلده أو وطنه أو بلدا أو لزومه في
جهة أو أشغاله من موضع إلى موضع فكل ما دخل له في الطا
عة لأن السلطان خليفة الله في الأرض فليس له أن يكلف

الخروج

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود - الدار البيضاء
Fondation du Roi Abdul-Aziz - Casablanca

العباد الأمناء لعلمهم الله تعالى أمرا وجوبا كأن يقول صلوا زكوا
حجوا جاهدوا أو أمرا ندبا كأن يقول تصدقوا تنفلوا الأول على سبيل
الإلزام ومن لم يفعله عاقبه او يرف والثاني على سبيل الترغيب
ومن لم يفعل فلا عقاب عليه وما خرج عن هذا فإن كان منهيا عنه
ثم عمل فليس للحاكم أن يأمر به وإن كان مباحا فله أن يطلبه خيرته ومن
لم يفعل فلا عقوبة عليه فلو قال لأحد طلق امرأتك او بع
جاريتك او اعتق عبدك او تصدق بثلث مالك على فلان او اخرج من
دارك او اخرج من بلدك او ارحل الى بلد كذا او اسكن في موضع كذا
لم يلزمه شيء من ذلك لأن الشرع لم يكلفه به ومن كلفه به فهو
معتد وليس بخليفة الله بل هو تابع لشهواته مخالف للشريعة
فإن لم يفعل ذلك فليس للسلطان أن يعاقبه ولا أن يقول له
قد عصيتني واين طاعة اولي الأمر فإن المعصية لا تكون الا حيث تجب
الطاعة وهذا الوجه لا تجب الطاعة فيه فلا معصية وقوله تعالى
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم اختلف
فيه المفسرون فذهب كثير الى ان اولي الامر هم العلماء لأن في
ايديهم امر الشريعة ونهيها فيجب اتباعهم هذا كما في الآية الأخرى
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم وقيل هم امراء السرايا عند النبي صلى الله عليه وسلم
قيل هم السلاطين وهذا القول منسوب الى علي كرم الله

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

وجهه فقال إن هذه الآية مفسرة بالتي قبلها وهي قوله تعالى
إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس
أن تحكموا بالعدل وذلك أن يأمروا بما أمر الله به وينهوا عما نهى
الله عنه كما قلنا أولا وهذا أمر واضح وقد كثر يقع فيه للملوك
ولكثير من الناس الغلط وذلك مما يسمعون من الفقهاء في المسألة
فإن السلطان لو أمر واحدا مثلا أن يحضر عنده أو يخرج من بلده
أو أن يبيع داره أو نحو ذلك مما تقدم في ذلك المأمور إن صح في اعتقاده
أنه إن لم يفعل ذلك توجهت إليه الأذية في نفسه أو ماله أو حريمه
أو من يتعلق به يجب عليه شرعا أن يفعل ذلك دفعا للظلم عن
نفسه أو من معه وتقية ولا يجوز له أن يعرض نفسه للهلاك
اللهم إلا أن يكون من المتجردين عن الأسباب وقلنا إنه يجب
لا امتثال تقية وربما غلط بعض الفقهاء فيقولون لا يجب عليه امتثال
أمر السلطان فيسمع السلطان ذلك فيغلط ويظن أنهم إنما
قالوا ذلك لكون الحق ثابتا على هذا الشخص للسلطان في امتثال
أمره وأن السلطان عليه حجة شرعا وليس ذلك كذلك فإن هذا
الشخص إنما وجب عليه بينه وبين الله تعالى على سبيل الحيطة
لنفسه ودفع الأذى عنه كما لو لقي سبعا وجب عليه أن يحتال
حتى يخرج من هلاكه ولا حق للسبع وكذا السلطان هاهنا
لا حق له ولا حجة بل الحجة عليه فإذا فهم هذا فهمت —

مسئلة

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

مسئلتين بانهما اختلفت فيه الامثلة وعلم انه انما الذي يجب في ان الطلب
بالشريعة ولو كثر اجرها وهذا الذي ذكرنا انما هو ما يقع من عاصي
يسأل عن الشرع واما السمع والطاعة للامراء كيف ما كانوا بالطوية
في ائتمار من عاصي كان من اعانة الدين ممن لم يكن لاجل طلبا للمصلحة
وحبا للخلاف وردعا للفتنة وارتكابا لاخف الضررين يجب السمع
والطاعة ولو تأمر عبد حبشي كما في الحديث واما قول الكتاب وان
قلت بهذا على راس او ان القبل لا يجب عليهما ان تعرضا للاجبير
لما ذلك من اقول لا شك انه يجب على اهل العلم ان يتكلموا على الحق
ويبينوا الحلال والحرام لا سيما فيما يظن قبوله ولا يخشى عليه فتنة
اما ما لا يقبل ويقع الفتنة به فساقط عنهم وقد كان يحيى بن يحيى
الليثي يسأل الامام مالك رضي الله عنه عن الفتن التي تقع في الاندلس
فلا يجيب فقال انا رسول الله يوم ورأيا فقال دع عنك هذا وانا لما
من الناس يحيى بهذا الامام امسك عما يخشى منه الفتنة وهو بالحجاز
في المدينة وكان يرى داعي وجبهة الاسر منقولا الى المسئلة الكلام في مسئلة
الكتاب لا يكون لنا ولا لاحد غيرنا ومن اقتضى الحديث عنها من قبل
الخلفاء الراشدين وذلك ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم بالهدى
والدين مستقيم الى كل مقصود لما عابه على المحجة البيضاء علما وعملا
اتقياء اصفياء لا يزيغون عن الحق ويعمون بعده لا متبع الخير مثلا
محيرا له على الموضع من تعلق الكلام بين اسراء على الكبار رحمة وينفع

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز Fondation

كما وصفهم الله تعالى يعدلون في الحق بينهم وشورى بينهم
في أمورهم وقال النبي عليه السلام في الأولى من الأشعار
ومن أفضل الجهاد كلمة حق ولم يزل كل الوضعين أ فكان الخليفة منهم
يشاورون العلماء ويصدر عن رأيهم ونقل عن عمر رضي الله عنه أنه
ومن خالفه بالحق فقبل منه فلا أبعد ولا أدنى فكان
علماء الصحابة رضي الله عنهم يتكلمون بالحق ويجاهرون به بين
الخلفاء ولا يخشون منهم إلا الجبار فلما انقضت الخلافة
وجاء الملوك وتبدلت السير المحمدية كسروية وقيصرية وفات
الشهوات فقل الحق والجهر به فكان المتواضع أفسد العلماء
وتم تبوأوا وطلبوا النجاة لأنفسهم في الكلام في هذا الحول ولا حاجة
إليه فمن أراد السلوك من الملوك أن ينصح لنفسه فليفعل ما
فعل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فإنه لم يأت حتى كان
ملوكا وجبر وتا فجاهر في الله حق جهاده حتى ردها إلى السيرة
الأولى فكان أول ما وقع من ذلك صاحبه سليمان بن عبد
الملك وكان استخلفه سمع الرعد وجبة فقال ما هذا فقالوا
هذه مراكب الملوك التي كسوتها فقال فإنما أنا واحد من المسلمين
ومثل نعليه وكتب عليها وطار فإذا بطائف الشرطة شهد بن
يزيد فقال له تنح عني فإنما أنا واحد من المسلمين فلما وصل
طلع المنبر واجتمع الناس فقال إن سليمان قد قلدني هذا

الأمر ولا حاجة لي به وقد جعلتكم في حل فانظروا لأنفسكم
ما تقولون فصاح الناس صيحة واحدة قد رضينا بك رضينا بك فلما هدأت
الأصوات خطب وبين للناس معالم الدين ثم قال بالأخيرة فقال
أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ثم
نزل فذهب ليدخل الدار فقال له ابنه عبد الملك رضي الله عنه
وكان له مكانة في الدين ما تريد أن تفعل قال يا بني أريد القيلولة
فإني قد سهرت في هذا الأمر وتعبت فقال يا أبت وأين حقوق الناس
بالباب قال يا بني إلى الظهر فقال ومن لك بأن تعيش إلى الظهر
فأخذه وقبل ما بين عينيه وقال الحمد لله الذي أخرج من صلبي من يعينني على
ديني وانكفأ ولم يقل ونادى من كان له حق فليأته وكان يرد
على الناس ضياعهم وأملاكهم التي أخذها الملوك قبله وينصف
المظلوم من الظالم ويتبع الحق ولا يزال عنه ولا يخشى أحدا
في دينه طغيانا ولا حيفا بين يديه على سيرة أهل العدل فعاش
رضي الله ورضي وقد اتفق العلماء على حسن سيرته وأخذوا
بأقواله وأفعاله وسئل الإمام مالك رضي الله عنه هل
يقاتل دون الإمام إن قام عليه أحد فقال إن كان كعمر بن عبد
العزيز فنعم والأمر عنه لا ينتفع الله من الكلام بالكلام عن ينتفع
من الجميع فمن أراد أن يسلك هذه المحجة فليؤسس بناءه على
الشرع من أول فإن أعرض عنه الجري في ذلك وجب نصحه ومن يبلغ

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود
Fondation

هذا المبلغ من نفسه فلا اقل من ان يتشبه بالملوك الاولين في باب العمل
بالحق فانهم كانوا يستبصرون في كثير من الامور ويسمعون الحق ويرجعون
الى الانصاف فهذا ابو جعفر المنصور وهو من عرف بالغلظة وسفك
الدماء سمع عن الشيخ الخندي من اهل الشام وانه حضر دار بني امية
فاوتي به فلما دخل عليه وجلس قال له ايها الشيخ فهل عرفتنا ما عندك
من امور بني امية فقال له الشيخ يا امير المومنين ان الوارث بني امية
قال لا فقال اما انه وقع على اموالهم قال لا فقال فما صنعوا الان بما بقي
من اموالهم فتوقف ابو جعفر وتحير ساعة ثم قال هي اموال المسلمين
وانا وكيلهم قال الشيخ يا امير المومنين ان بني امية اولا غير اموال
المسلمين فمن الذي يشهد بان الذي عندهم من اموال المسلمين لا اموالهم فقال
ابو جعفر صدق الشيخ يا ربيع ان بني امية اموالهم قال اطلقوها بالكلية
فقال له اطلب حاجتك فقال له حاجتي ان اردك الى اهلي قال نعم قال
وان تجمع بيني وبين خصمي اي الذي سجنني فقال ملك خصمك فاوتي به بعدما
ذا هو صبره فقال الشيخ يا امير المومنين هذا المملوك في حرق من مائتي
اربعة الاف دينار فخاف ان اعاقبه فجاء يسعى في اشغل عبد عبد
العبد ما عندهم فقال الشيخ اشهد حييا امير المومنين لذا اعتقته
ووهبته ذلك المال وازيده مثله والتمسي امير المومنين ما عندي يرده
من اموال بني امية فقال له ابو جعفر تعجب منه فانظر الى ابا جعفر
كيف سمع من الحاجة وكيف رد الرجل ثم اعتق العبد واعطاه ثمانية

الاف

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

في الاسلام وذلك دليل النبوة الحقيقية فلم يحكم في ان يقال عليه
في استثنى ان الخلافة منه لو بعضه بحجزه حالة الملوك ارباب النعيم
في الخبر ان اول هذا الامر نبوة ثم خلافة ثم ملك ثم عتو وفساد
في الارض فلم يوجد الا يكون ولد الخلفاء فلم يكن من الملوك ولا يكون
من اهل العتو والفساد ثم من وفقه الله للخير فزاد وهو ابتلي
بالشهوات فلم يعتزل بها

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ... ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر
وبح باسم من تهوى ودعني من الكنى ... فلا خير في اللذات من دونها ستر

وقال آخر

ان تكن للاسكاف تكن كالوتر ... او تكن للتكلف تكن كالبرعاني

والصرف فضله من اتى بخطيئة معتقدا فهو خطيئة وامرأة وان انا اهل عموما انها حسنة فهما خطيئتان اخراهما ومن جعل ما ليس بشرع قربة والكل عياذا بالله ولم يزل اهل العقل والفضل يعتمدون على انفسهم بالتقصير ويشفقون على انفسهم كان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لولا علي لهلك عمر وقال يوما اتقضى لو ان لي ملء الارض ذهبا لافتديت به من عذاب الله قبل ان اراه وانشدوا يقول

وابو عمرو بن كعب ثلاثا اعرتما ... ولا تشدد ان تقول لافلا لم كعب
وما لي حذار الموت الذي تعتب ... ولاكن حذار الذنب يتبعه الذنب

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء
Fondation

وجاء رجل الى عمر بن عبد العزيز فقال لقد رأيت كأن القيامة قد
قامت وذكر ان ابا بكر وعمر وعثمان وانهم نجوا ثم دعا عليا ومعاوية
فاذا علي يقول قضي لي ورب الكعبة واذا بمعاوية بعده يقول غفر لي
ورب الكعبة ثم نصب الصراط فوضع يزيد فهوى في النار ثم وضع
عبد الملك فهوى في النار ثم وضع الوليد فوقع في النار وهكذا
الى أن قال ثم وضع سليمان فلم يبق الا هو فصاح وسقط وجعل
يتمرغ ويضرب برجله والرجل يصيح ويقول والله لقد رأيتك نجوت
يا امير المومنين فكيف ينبغي لمثلنا ان نرضى عن انفسنا ونثبت
لها فضلا ونزعم انا لا نقول الا الحق وكلامنا الا باخفاء الكلام
والاسرار ونحن غرقى في بحر التخليط نسأل الله تعالى ان يعفو
عنا واما قول الكتاب واردت ان تذكر من العلم وتجمع بابا فيه
ما قول فلا بد ان نبحث عن معنى بابا فيه المذكورة
لتعرف فان الحكم على الشيء فرع تصوره فان اريد به اقوال
الجهال المبتدعين المدعين بغير علم ولا دين فلا شك انها نجاسة
وقذارة ونحن لا نريدها بل نعوذ بالله منها وان ادعاها احد علينا
فلا بد ان ينص على عين ما ارتكبناه من ذلك لنعرفه فنتوب الى الله
منه ان وفقنا الله فلا يجوز ان يرمى المسلم بالسوء وينسب
الى ارتكاب ما لم يرتكب وان اريد به العمل لله بلا حظ من حيث
حظ والسلوك على المنهج المرضي عند ارباب الطريق والمعرفة

او

© مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز - الدار البيضاء

او المشاهدة فلا شك انها بهذا المعنى ليست بنجاسة ولا تنجس
العلم بل هي ثمرة العلم ولبابه وهي احد ركني الدين فان الشرع يعني
له تمام وهو الفقه وباطن وهو التصوف وانما يكمل الامر بهما
معا ولهذا قيل من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم
يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق فمن يكون هذا وجعله
نجاسة او جعل صاحبه اخلا في الشيطان فقد انكر الشرع يعني
هذا ونحن لم نشتغل بهذا العلم الموصوف ايضا ولا وصلنا
اليه ولكنا نحبه ونحب اهله ونرجوا الله تعالى ان يمن به علينا
انه الكريم المنان ويحشرنا في زمرة اهله بفضله ومنه واحسانه فانه
قد قال على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب
وانما نحن مشتغلون بالتعليم جهدنا بالطلبة يتعلمون العلم
ويتفقهون والعوام يتعلمون عقائدهم ودينهم وينشئهم
والتوبة ونحو ذلك واذكارا يعمرون بها اوقاتهم حيث لم يكن عندهم
علم يعمرونها به فان هذا القدر بدعة او تنجيس للعلم او دخول في
من في الشيطان فمن عليه نسال الله تعالى ان يعيننا عليه
ويجعله له ويديمه علينا حتى يتوفانا عليه آمين هذا
ما احتمل اليه الكلام على مقتضى الكلام ولو ترك الفصل لكان وانا
تعرضت لذلك مستعجلة للمصلحة في قوله وان كان عن جملة القول
بفضله وعفوه اخر رسالة الامام ابي ... تمت ... لوارث